جامعة الأزهر
كلية اللغة العربية بأسيوط
المجلة العلمية

# الرَّبط بحروف العطف الفصيحة في البحر المحيط لأبي حيَّان دراسة نحويَّة دلاليَّة

إعداد

د/ فاطمة بنت أحمد بن حامد المالكيّ
دكتوراه في النَّحو والصَّرف
قِسْم اللُّغة والنَّحو والصَّرف، كُلِّيَّة اللُّغة العربيَّة، جامعة أمّ القرى بمكَّة المكرَّمة

( العدد الثاني والأربعون)
( الإصدار الثاني ٠٠٠أكتوبر)
( الجزء الرابع (١٤٤٥هـ /٢٠٢٣م)

الترقيم الدولي للمجلة( ISSN)2536-9083 )
رقم الإيداع بدار الكتب المصرية : ٢٠٢٣/٦٢٧١م

# الرَّبط بحروف العطف الفصيحة في البحر المحيط لأبي حيَّان
## دراسة نحويَّة دلاليَّة

فاطمة بنت أحمد بن حامد المالكيّ
قِسْم: اللُّغة، والنَّحو، والصَّرف، كُلِّيَّة اللُّغة العربيَّة، جامعة أمّ القرى، مكَّة المكرَّمة، المملكة العربية السعودية.
**البريد الإلكتروني**:Fatimah_faa@hotmail.com

**الملخص**:
يهدف هذا البحث الموسوم بـ:(الرَّبط بحروف العطف الفصيحة في البحر المحيط لأبي حيَّان، "دراسة نحويَّة دلاليَّة") إلى الكشف عن دور هذه الحروف في ترابط التَّراكيب، وأثرها في إحداث التَّقدير، مِنْ خلال تحليل النَّصِّ القرآنيّ، وفقًا لما قدَّمه أبو حيَّان مِنْ آراءٍ علميَّة له وللسَّابقينَ عليه. ومِمَّا لا شكَّ فيه أنَّ حصول الفائدة مِنَ الكلام منوطٌ بترابطه وتماسكه، فالرَّبط يؤدِّي إلى تحقيق الفائدة، ومِنْ هنا فالبحث يسعى إلى رَصْد العلاقات التَّركيبيَّة داخل الجملة الواحدة، وكذا بين الجُمَل، مع الإفادة مِنَ القراءات القرآنيَّة، والسِّياقات المقاليَّة والمقاميَّة. وقد كشف البحث أنَّ فكرة الإفصاح ظاهرة مع: (أم، وبل، وثُمَّ، وحتَّى، والفاء، والواو)، فتأتي هذه الحروف الفصيحة روابط لفظيَّة لمربوطينِ، أحدهما: مذكور ظاهر، والآخر: محذوف مقدَّر، وذاك مظهرٌ مِنْ مظاهر الاختصار والإيجاز في العربيَّة. وجاء البحث مرتَّبًا على النَّحو التَّالي: المقدِّمة: وفيها: بيان موضوع البحث، وأهمِّيَّته، ومنهجه، وحدوده البحثيَّة، والدِّراسات السَّابقة عليه، المبحث الأوَّل: الرَّبط بـ(أمِ) الفصيحة. المبحث الثَّاني: الرَّبط بـ(بَلِ) الفصيحة. المبحث الثَّالث: الرَّبط بـ(ثُمَّ) الفصيحة. المبحث الرَّابع: الرَّبط بـ(حتَّى) الفصيحة. المبحث الخامس: الرَّبط بـ(الفاء) الفصيحة. المبحث السَّادس: الرَّبط بـ(الواو) الفصيحة. الخاتمة: وفيها نتائج البحث. فهرس المصادر والمراجع.
الكلمات المفتاحيَّة: الرَّبط، الفصيحة، التَّقدير، أبو حيَّان.

# Connecting with the Eloquent Conjunctions in Al-Bahr Al-Moheet by Abi Hayyan A Semantic Grammatical Stud.

*Dr. Fatima Ahmed Hamed AlMalki.*
*Department of Language, Grammar and Morphology, College of Arabic .Language, Umm Al-Qura University, Mecca, Kingdom of Saudi Arabia*
**E-mail:** Fatimah_faa@hotmail.com

## Abstract:

***This Research aims to: (Connecting with Eloquent Conjunctions in Al-Bahr Al-Moheet by Abi Hayyan. A Semantic Grammatical Study), to reveal the role of these letters in linking the structures, and its impact on creating appreciation, through the analysis of the Qur'anic text, according to scholastic opinions introduced by Abu Hayyan and his predecessors. Doubtlessly obtaining the benefit from speech depends on its interdependence and coherence, as connection leads to relevance. Hence, the research seeks to monitor the structural relationships within the single sentence, as well as between sentences, with the benefit of the Quranic readings, the essay and metaphorical contexts. The research revealed the idea of disclosure is apparent with: (أم، وبل، وثُمَّ، وحتَّى، والفاء، والواو). Such classical prepositions connect two parts of speech, one of them is clearly stated, and the other is omitted and estimated, and that is a manifestation of brevity and brevity in Arabic.The search was arranged as follows:Introduction: Statement of the research topic, research limits, and previous studies. First Part: Connection Using Eloquent (أم). Second Part: Connection Using Eloquent (بَل). Third Part: Connection Using Eloquent (ثُمَّ). Fourth Part: Connection Using (حتَّى). Fifth Part: Connection Using Eloquent (الفاء). Sixth Part: Connection Using Eloquent (الواو). Conclusion: contains research results. Index of sources and references.***

**Keywords:** *Linking, Eloquence, Appreciation, Abu Hayyan*

## المقدِّمـــة

بادئ ذي بدءٍ أحاول الوقوف على ورود قضيَّة الرَّبط عند المتقدِّمينَ والمحدَثينَ، فهي قرينة لغويَّة مهمَّة تؤدِّي إلى تماسك التَّراكيب، وفهمها على الوجه المراد منها، يقول الخطَّابيُّ: "وإنَّما يقوم الكلام بهذه الأشياء الثَّلاثة: لفظ حامل، ومعنًى به قائم، ورباط لهما ناظم، وإذا تأمَّلتَ القرآن وجدتَ هذه الأمور منه في غاية الشَّرف والفضيلة"(١).

أمَّا المتقدِّمونَ مِنَ النُّحاة فلهم إشارات متناثرة، ويدور حديثهم غالبًا في الرَّبط اللَّفظيِّ عن الضَّمير، فهو عندهم أصل الرَّوابط، وكذلك تظهر العناية البارزة في مواضع ربْط جملة الخبر بالمبتدأ، وجملة الصِّلة بالموصول، والصِّفة بالموصوف، والحال بصاحبه، والقَسَم بجوابه، والشَّرط بجزائه، كما تظهر عنايتهم به أيضًا حين الحديث عن الأدوات كاستعمال حروف العطف؛ لأنَّ "الغرض مِنْ عطف الجُمَل ربْط بعضها ببعض واتِّصالها"(٢)، وحروف الجرِّ، والرَّبط بالإشارة، وبتكرار اللَّفظ، وغير ذلك مِنْ إشارات متناثرة في أبواب النَّحو.

ومِنْ ذلك قول ابن السَّرَّاج: "واعلم أنَّ الحرف لا يخلو مِنْ ثمانية مواضع، إمَّا أن يدخل على الاسم وحده، مثل: الرَّجل، أو الفعل وحده، مثل: سوف، أو ليربط اسمًا باسم: جاءني زيد وعمرو، أو فعلًا بفعل، أو فعلًا باسم، أو على كلام تامٍّ، أو ليربط جملةً بجملة، أو يكون زائدًا"(٣).

وأمَّا جهود اللُّغويِّينَ مِنَ المحدَثينَ فمِنْ أشهرها دراسة نظريَّة: "تضافر القرائن" عند الدُّكتور/ تمَّام حسَّان، ونظرية: "النَّحو التَّوليديّ والتَّحويليّ" عند تشومسكي،

---

(١) بيان إعجاز القرآن، الخطَّابيُّ، ص٢٧.

(٢) شَرْح المفصَّل، ابن يعيش، ١٣٧/٣.

(٣) الأصول في النَّحو، ابن السَّرَّاج، ٤٢/١.

ودراسات متفرِّقة عن الإحالة، والتَّضامّ، والتَّماسك النَّصِّيّ، ولسانيَّات النَّصِّ، وما إلى ذلك مِنْ عبارات، وإشارات، وجهود قديمة وحديثة(١).

أمَّا فكرة الإفصاح فإنَّ الَّذي شاعت معه مِنْ حروف العطف، وتقرَّر في كتب بعض المتقدِّمينَ، هما: (الفاء) و(الواو)، بل قصر بعضهم ذلك عليها، فقد قال الشَّاطبيُّ عن ابن مالك عند هذه المسألة: "قيَّدها بعطف الواو والفاء خاصَّة، فكأنَّه يقول: إنَّ حذف المعطوف عليه إذا كان العطف بالواو والفاء مستباح لا حظر فيه، وندر ذلك مع (أو) فالنَّادر لا يُعتَدُّ به"(٢). وصرَّح السُّيوطيُّ أيضًا بندرة ذلك مع (أو)، حيث يقول: "وقلَّ في (أو)، أي: حذفها، أو متبوعها"(٣).

وواضح مِنْ هذا أنَّ ذلك لم يبلغ عندهم مبلغ المطَّرِد مِنَ الكلام، بدليل التَّصريح بندرة مجيء ذلك مع (أو)، كما أنَّ في كلام الشَّاطبيّ إنباءً صريحًا عن عدم اعتدادهم بما نَدَر مِنْ ذلك.

بيد أنِّي وجدتُها قضيَّةً عِلْميَّةً متناثرةً في بطون الكتب، جديرةً بالرَّصد، والتَّحليل، والتَّأمُّل، والكشف عن معنى الرَّبط الحاصل بها، وأثر التَّقدير على بناء التَّركيب الَّذي هي فيه.

وصمدًا إلى هذه الغاية، لم يكن بُدٌّ مِنْ أن أُسلِّط الضَّوءَ على ظاهرة الإفصاح، مِنْ خلال بعض حروف العطف، مرتَّبةً ترتيبًا ألفبائيًّا؛ لامتحانها بالتَّطبيق والدِّراسة؛ أملًا في تحقيق الغرض العِلْميّ المتَّصل بالرَّبط بهذه الحروف؛ فهي وسيلة مِنْ وسائله المهمَّة.

---

(١) يُنْظَر: أنظمة الرَّبط في العربيَّة، حسام البهنساويّ، ص٧ وما بعدها.

(٢) المقاصد الشَّافية، الشَّاطبيُّ، ١٨١/٥.

(٣) هَمْع الهوامع في شَرْح جَمْع الجوامع، السُّيوطيُّ، ٢٧٤/٥.

أمَّا منهج البحث فهو منهجٌ وصفيٌّ تحليليٌّ، فأمَّا الوصفيُّ فيُعنى بوصف الرَّابط الفصيح في الآية الكريمة موطن الشَّاهد، وأمَّا التَّحليليُّ فهو التَّفسير العِلْميُّ لظاهرة الرَّبط بحروف العطف الفصيحة في ضوء بعض مستويات التَّحليل اللُّغويِّ: كالمستوى النَّحويّ، والمستوى الدَّلاليّ.

وتأسيسًا على ما سبق فالبحثُ محدودٌ بالدِّراسة النَّحويَّة الدَّلاليَّة لُغويًّا، وبالبحر المحيط لأبي حيَّان زمانيًّا، وبفكرة الحروف الفصيحة ودورها في قضيَّة الارتباط موضوعيًّا.

ولم أقف على دراسة مستقلَّة تُحرِّر أثر هذه الحروف على التَّركيب، وتُناقش تلك الإشارات والآراء العِلْميَّة الَّتي ذكرها علماؤنا المتقدِّمونَ، بيد أنَّ ثمَّة دراسات سابقة تناولت فكرة الرَّبط، ومنها على سبيل التَّمثيل لا الحصر:

- **نظام الارتباط والرَّبط في تركيب الجملة العربيَّة**، مصطفى حميدة، ط١، القاهرة، دار نوبار، ١٩٩٧م. وجاءت هذه الدِّراسة في هذا الكتاب وفق: "نظريَّة التَّعليق" لعبد القاهر الجرجانيّ، وكذا نظريَّة: "تضافر القرائن" للدُّكتور تمَّام حسَّان، ويعمد في بعض المواضع إلى المناقشة في ضوء نظريَّة تشومسكي. وشغلتِ الدِّراسة النَّظريَّة الفصل الأوَّل والثَّاني، وظهر الجانب التَّطبيقيّ -على قلَّة- في الفصل الثَّالث والرَّابع.
- **قواعد الرَّبط وأنظمته في العربيَّة**، حسام البهنساويّ، ط١، القاهرة، مكتبة زهراء الشَّرق، ٢٠٠٨م. تناول هذا البحث مسألة الإحالة اللَّفظيَّة في ضوء الدَّرس اللُّغويّ الحديث، وذكر عناصر الرَّبط في النَّظريَّة التَّوليديَّة التَّحويليَّة.
- **الواو والفاء وثُمَّ في القرآن الكريم**، "دراسة نحويَّة، دلاليَّة، إحصائيَّة"، صفاء بنت عبدالله، فلسطين، جامعة النَّجاح الوطنيَّة، ٢٠٠٨م. ويكمن الاهتمام هنا بهذه الحروف الثَّلاثة مِنْ حيثُ وظائفها في الجملة العربيَّة، فضلًا عن أنَّها تُعنى بالدِّراسة الإحصائيَّة لمواقع الرَّبط بهذه الحروف.

وتختلف دراستي عن الدِّراسات السَّابقة في أنَّها تُعالج قضيَّة نحويَّة تراثيَّة، مِنْ حيث التَّركيز على الحروف الفصيحة ودورها في قضيَّة الارتباط، وأثرها في إحداث التَّقدير، كما يكمن الاختلاف في التَّطبيق على النَّصِّ القرآنيِّ، مِنْ خلال تفسير البحر المحيط لأبي حيَّان، فضلًا عن التَّباين في الوسائل الإجرائيَّة والأدوات البحثيَّة.

# التَّمهيد

الرَّبط لغةً: "الرَّاء، والباء، والطَّاء أصلٌ واحدٌ يدلُّ: على شَدٍّ وثَبَاتٍ. مِنْ ذلك رَبَطْتُ الشَّيءَ أَرْبطُهُ رَبْطًا، والَّذي يُشَدُّ به رِباطٌ"(١).

و"الرَّبط في عِلْم الفلسفة: إحداث علاقة بين مُدركينِ؛ لاقترانهما في الذِّهن بسببٍ ما"(٢).

ويرى الدُّكتور تمَّام حسَّان باعتبار اهتمامه بالرَّبط اللَّفظيِّ أنَّه "قرينة لفظيَّة على اتِّصال أحد المترابطينِ بالآخر"(٣)، والرَّابط "هو: اللَّفظ الدَّالُّ على معنى الاجتماع بين الموضوع والمحمول"(٤).

وفي تحرير فكرة الإفصاح نجد ورود ذلك في بعض المعاجم عند حديثهم عن "الفاء الفصيحة، وهي: الفاء الَّتي تدلُّ على لفظ محذوف يعتبر سببًا في حدوث ما بعده"(٥).

ومِنْ هنا فمصطلح (الفصيحة) الوارد في عنوان هذا البحث يدلُّ على أنَّها "تفصح عن المحذوف، وتفيد بيان سببيَّته، كالَّتي تذكر بعد الأوامر والنَّواهي؛ بيانًا لسبب الطَّلب، لكن كمال حُسنها وفصاحتها أن تكون مبنيَّةً على التَّقدير، منبئةً عن المحذوف"(٦)، وهو المعطوف عليه، فإنَّ بقاء المعطوف وحرف العطف مؤذنٌ

---

(١) مقاييس اللُّغة، ابن فارس، مادَّة: (رَبَطَ)، ٤٧٨/٢، ويُنْظَر: الصِّحاح تاج اللُّغة وصحاح العربيَّة، الجوهريّ، مادَّة: (رَبَطَ)، ١١٢٧/٣.

(٢) المعجم الوسيط، مجموعة مؤلِّفين، ٣٢٣/١، مادَّة: (رَبَطَ).

(٣) اللُّغة العربيَّة معناها ومبناها، تمَّام حسَّان، ص٢١٣.

(٤) الكلِّيَّات، الكفويُّ، ص٤٠٣.

(٥) معجم المصطلحات النَّحويَّة والصَّرفيَّة، محمّد سمير، ص١٧١.

(٦) حاشية السُّيوطيِّ على تفسير البيضاويّ، السُّيوطيُّ، ٢٥٣/٣، ويُنْظَر: الكُلِّيَّات، أبو البقاء الكَفَوِيّ، ص٥٧٠.

بالمعطوف عليه؛ لما يلزم على ورود حرف العطف مِنْ وجود معطوف عليه، فإن لم يوجد في الكلام كان مستدعًى بالتَّقدير.

ومِنْ زاوية أخرى قد يطلق مصطلح الفصيحة على سبيل المجاز، نسبةً إلى المتكلِّم أو الكلام. وقد بيَّن الشِّهاب الخفاجيّ علَّةَ إطلاق مصطلح (فصيحة)، وذلك بمفهومينِ اثنينِ، حيث قال: "وتسميتها فصيحة؛ لإفصاحها عن المقدَّر، ودلالتها عليه، أو لفصاحة المتكلِّم أو الكلام الَّذي هي فيه، فالإسناد مجازيٌّ"(١).

وعلى هذا يمكن أن يكون منزع المفهومينِ هو ما في الكلام مِنْ حذْف، فعلى المفهوم الأوَّل يكون الحرف الفصيح مفصحًا عن المحذوف، وعلى المفهوم الثَّاني يكون هذا النَّمط مِنَ الحذف مِمَّا لا يحسنه إلَّا الفصحاء(٢).

وقد وجدتُ عند الزَّمخشريِّ جذورًا لهذه الظَّاهرة، يقول في تعريف الفاء الفصيحة: إنَّها "متعلِّقة بمحذوف... لا تقع إلَّا في كلامٍ بليغٍ"(٣). فثمَّ حذفٌ؛ للاختصار والإيجاز، ومِنْ هنا تتحقَّق البلاغة.

وجديرٌ بالذِّكر أنَّ تسميتها بـ(الفصيحة) نابعٌ مِنْ وظيفتها التَّركيبيَّة، ألا وهي الإفصاح عن المحذوف، فذاك إذنْ مدلولٌ وظيفيٌّ.

---

(١) حاشية الشِّهاب على تفسير البيضاويّ، الشِّهاب الخفاجيّ، ٢/٢٦٥.

(٢) يُنْظَر: فتوح الغيب في الكشف عن قِناع الرَّيب (حاشية الطِّيْبيّ على الكشَّاف)، الطِّيْبيّ، ٢/٥٠٣.

(٣) الكشَّاف، الزَّمخشريُّ، ١/١٤٧.

# المبحث الأوَّل:

## الرَّبط بـ(أمِ) الفصيحة

مِنْ أنماط الرَّبط في القرآن الكريم (الحروف)؛ حيث إنَّها تأتي ليُربَط بها بين المفردات، وكذا بين الجُمَل، وقد أشار إلى ذلك ابن السَّرَّاج، في: "باب مواقع الحروف"(١).

ومِنَ الآيات الَّتي وردت فيها (أمْ) قوله ـ عزَّ وجلَّ ـ: ﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبۡرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعۡقُوبُ يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٣٣ أَمۡ كُنتُمۡ شُهَدَآءَ إِذۡ حَضَرَ يَعۡقُوبَ ٱلۡمَوۡتُ إِذۡ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعۡبُدُونَ مِنۢ بَعۡدِي﴾(٢) وفي تحليل أبي حيَّان لهذه الآية أورد نصًّا للزَّمخشريِّ يذهب فيه إلى أنَّ "الوجه أن تكون (أمْ) متَّصلة على أن يُقدَّر قبلها محذوف، كأنَّه قيل: أتدَّعون على الأنبياء اليهوديَّة، أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوبَ الموتُ؟ يعني أنَّ أوائلكم مِنْ بني إسرائيل كانوا مشاهِدِينَ له إذ أراد بَنْيَهُ على التَّوحيد وملَّة الإسلام، وقد علمتم ذلك، فما لكم تدَّعون على الأنبياء ما هم منه بُرآءُ؟"(٣).

ثُمَّ اعترضه أبو حيَّان فقال: إنَّه "جعل (أمْ) متَّصلة، وأنَّه حذف قبلها ما يعادلُها، ولا نعلم أحدًا أجاز حذف هذه الجملة، ولا يُحفظ ذلك، لا في شِعْر ولا غيره، فلا يجوز: أمْ زيدٌ؟ وأنتَ تُريد: أقام عَمرو أم زيد؟ ولا: أم قام خالد؟ وأنتَ تُريد: أخرج زيد، أم قام خالد؟ والسَّبب في أنَّه لا يجوز الحذف أنَّ الكلام في معنى: أيُّ الأمرينِ وقع؟ فهي في الحقيقة جملة واحدة، وإنَّما يُحذف المعطوفُ عليه ويبقى المعطوف مع الواو

---

(١) يُنْظَر: الأصول في النَّحْو، ابن السَّرَّاج، ٤٢/١، والأشباه والنَّظائر في النَّحْو، السُّيوطيُّ، ١٢/٢.

(٢) سورة البقرة: ١٣٢/٢-١٣٣.

(٣) الكشَّاف، الزَّمخشريُّ، ١٩٢/١، ويُنْظَر: البحر المحيط، أبو حيَّان، ٤٧٧/٣.

والفاء إذا دلَّ على ذلك دليل، نحو قولك: بلى وعمرًا، جوابًا لِمَنْ قال: ألم تَضْرِبْ زيدًا؟ ونحو قوله ـ تعالى ـ : ﴿ ٱضۡرِب بِّعَصَاكَ ٱلۡحَجَرَۖ فَٱنفَجَرَتۡ﴾[1] أي: فَضَرَبَ؛ فانْفَجَرَتْ. وندر حذف المعطوف عليه مع (أو)... ومع (حتَّى)... لكنَّ الَّذي سُمع مِنْ كلام العرب حذف (أمِ) المتَّصلة مع المعطوف، قال:

دَعَانِي إِلَيْهَا القَلْبُ، إنِّي لِأَمْرِهَا سَمِيْعٌ، فَمَا أَدْرِي: أَرُشْدٌ طِلَابُهَا؟

يُريد: أمْ غَيٌّ، فحُذف لدلالة الكلام عليه، وإنَّما جاز ذلك؛ لأنَّ المستفهِم عن الإثبات يتضمَّن نقيضَه، فإذا قلتَ: أقام زيدٌ فالمعنى: أقام زيدٌ أم لم يقم، ولذلك صلح الجواب أن يكون بِـ(نعم) وبِـ(لا)، فلذلك جاز ذلك في البيت في قوله: أرشد طلابها؟، أي: أم غير رشد. ويجوز حذف الثَّواني المقابِلات إذا دلَّ عليها المعنى"[2].

نلحظ في الحُكْم على (أمِ) الواردة في الآية السَّابقة أنَّنا أمام رأيينِ، أحدهما للزَّمخشريّ، والآخر لأبي حيَّان، فالأوَّل: يرى جواز حذف المعطوف عليه، فضلًا عن أنَّ ثمَّة استفهامًا مقدَّرًا، وتقدير الكلام عنده: أتدَّعون على الأنبياء اليهوديَّة؟ أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت؟ فالمحذوف المقدَّر عند الزَّمخشريِّ، جملة طلبيَّة استفهاميَّة، وتلك صورة مِنْ صور المحذوف المقدَّر الَّذي أفصحت عنه (أمْ). وجاء عند ابن هشام أنَّ الواحديَّ قد سبق الزَّمخشريَّ إلى هذا القول، وقدَّره: "أبلغكم ما تنسبون إلى يعقوبَ مِنْ إيصائه بنيه باليهوديَّة، أم كنتم شهداء؟"[3]. وبناءً على ما تقدَّم يمكن حَمْل تخريج الزَّمخشريِّ على القول بإفصاح (أمْ).

---

(١) سورة البقرة: ٢/٦٠.

(٢) البحر المحيط، أبو حيَّان، ٣/٤٧٧-٤٧٨-٤٧٩.

(٣) مُغني اللَّبيب، ابن هشام، ص٧٨-٧٩، ويُنْظَر: حاشية الشِّهاب على تفسير البيضاويّ، الشِّهاب الخفاجيّ، ٢/٣٩٧، وحاشية الصَّبَّان على شرْح الأشمونيّ لألفيَّة ابن مالك، الصَّبَّان، ٣/١٧٤.

والثَّاني: يذهب إلى رفْض تخريجها على هذا الوجه مِنَ الزَّمخشريِّ؛ حيث إنَّ الكلام عند أبي حيَّان عبارة عن جملة واحدة، فضلًا عن أنَّه يرى أنَّ الشَّائع هو حذف المعطوف عليه مع الفاء والواو، وندرته مع غيرهما، كـ(أو)، و(حتَّى). أمَّا (أمْ) فيرى جواز حذفها مع المعطوف لا المعطوف عليه؛ لوجود دليل على المحذوف، إذ إنَّه لا حذف إلَّا بدليل، مستندًا في ذلك إلى ما سُمع عن العرب. ويترتَّب على منع حذف المعطوف عليه عند أبي حيَّان، منع القول بإفصاح (أمْ)؛ إذ إنَّ الفصيحة لا تكون إلَّا في ضوء ذكْر الأداة مع المعطوف، وحذْف المعطوف عليه.

ويؤكِّد الصَّبَّان أنَّ (أمْ) تجيء حرفًا فصيحًا، وذلك عند حديثه عن بيت ابن مالك: (وحذف مَتبوعٍ بَدَا هنا اسْتَبِح)، واستدلَّ بقوله ـ تعالى ـ : ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ﴾[1] "فالتَّقدير: أعلمتم أنَّ الجنَّة حفَّت بالمكاره، أمْ حسبتم"[2]، وعلى هذا تكون (أمْ) متَّصلة.

ويقول أبو حيَّان: "ورام بعض المفسِّرينَ أن يجعلها متَّصلة، ويجعل قبلَها جملةً مقدَّرةً تصير بتقديرها (أمْ) متَّصلة، فتقدير الآية: فهدى الله الَّذين آمنوا لِمَا اختلفوا فيه مِنَ الحقِّ، فصبروا على استهزاء قومِهم بهم، أفتسلكون سبيلَهم؟ أمْ تَحسبون أن تدخلوا الجنَّة مِنْ غير سلوك سبيلِهم؟ فتلخَّص في (أمْ) هنا أربعة أقوال: الانقطاع على أنَّها بمعنى بل والهمزة، والاتِّصال على إضمار جملة قبلها، والاستفهام بمعنى الهمزة، والإضراب بمعنى بل، والصَّحيح هو القول الأوَّل"[3].

---

(١) سورة البقرة: ٢/٢١٤.

(٢) يُنْظَر: حاشية الصَّبَّان على شرْح الأشمونيّ لألفيَّة ابن مالك، الصَّبَّان، ٣/١٧٤.

(٣) البحر المحيط، أبو حيَّان، ٥/٣٣٢-٣٣٣، ويُنْظَر: الدُّرُّ المصون، السَّمين الحلبيُّ، ٢/٣٨٠.

فثمَّة توجيهات للآية هنا، "ولَمَّا كان التَّقدير قائمًا على الاجتهاد الذَّاتيِّ، أتاح عدَّة أوجه في العبارة الواحدة"(١)، وقد اتَّضح مِنْ خلال ما سبق، مذهب أبي حيَّان في توجيه الأداة (أمْ)، فهو يرجِّح الرَّأيَ الأوَّل، القائل: إنَّ (أمْ) منقطعة بمعنى بل والهمزة؛ حَمْلًا لها على معناها لا لفظها، وذلك بسبيل التَّناوب بين الأدوات. غير أنَّ قوله: (والاتِّصال على إضمار جملة قبلها) يُشير إلى فحوى الإفصاح في (أمِ) المتَّصلة، الَّذي يقتضي محذوفًا.

وجاء عند الفرَّاء تأصيلٌ وتوضيحٌ لهذا النَّمط التَّركيبيِّ، فقال: "استفهم بأمْ في ابتداءٍ ليس قبله أَلِف فيكون (أمْ) ردًّا عليه، فهذا مِمَّا أعلمتُك أنَّه يجوز إذا كان قبله كلام يتَّصل به"(٢)، فعبارته تَرْمِي إلى وجود محذوفٍ مقدَّر اتَّصلت به (أمْ) فأفصحت عنه. ويرى في موضع آخر أنَّ (أمْ) تأتي على وجهينِ: إمَّا أن تكون ابتدائيَّة لفظًا لا معنًى، أي: أن يكون ابتداءً لفظيًّا، أمَّا مِنْ حيث المعنى، فهو متَّصل بكلام سابق. وإمَّا أن تكون عطف نسقٍ، معطوف على استفهام سابق. وفي الحالتينِ أجدُ أنَّ (أمْ) تقوم بالرَّبط الإحاليِّ، فهي مبنيَّة على كلام سابق تتَّصل به، فهي جوابٌ عنه، ولهذا السَّابق حالات وصور متعدِّدة، فقد يكون لفظيًّا مذكورًا أو محذوفًا، وقد يكون معنويًّا مذكورًا أيضًا أو محذوفًا(٣).

ولم يرتضِ السُّهيليُّ مجيء (أمِ) المنقطعة في الذِّكر الحكيم، ويرى "أنَّ جميع ما جاء منها في القرآن إنَّما هو على أصلها الأوَّل مِنَ المعادِلة"(٤)، وهذا مِنْ أبين شيءٍ على معنى كونها فصيحة، فإنَّها لَمَّا كانت على أصلها مِنَ المعادِلة للهمزة، كانت مِنْ قبيل المتَّصلة، المفصحة عن محذوف هو المعطوف عليه، المعادِل لما بعد (أمْ).

---

(١) لُغة الشِّعْر، مُحَمَّد حماسة عبد اللَّطيف، ص٧٧.
(٢) معاني القرآن، الفرَّاء، ١/١٣٢.
(٣) يُنْظَر: معاني القرآن، الفرَّاء، ١/٧١-٧٢.
(٤) يُنْظَر: نتائج الفكر في النَّحْو، السُّهيليُّ، ص٢٠٥.

وإنَّما سمِّيت (أمْ) متَّصلة هنا؛ "لوقوعها بين شيئينِ مرتبطينِ ارتباطًا كلاميًّا وثيقًا، لا يستغني أحدهما عن الآخر، ولا يستقيم المعنى إلَّا بهما معًا"[(١)]، وهما عنصرانِ مربوطانِ موجودانِ في التَّركيب اللُّغويِّ، سواءٌ كان الوجود ذكرًا أم تقديرًا، فأحدهما هو المربوط الأوَّل، والآخر هو المربوط الثَّاني، أمَّا الرَّابط بينهما فجاء بوسيلة لفظيَّة، وهو الأداة (أمِ) الفصيحة.

ومِنْ مُثُل القرآن الَّتي وردت فيها (أمْ) قوله ـ عزَّ وجلَّ ـ : ﴿وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٧﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ﴾[(٢)] يقول أبو حيَّان: "... وقيل: (أمْ) هي المعادِلة للهمزة، وحُذفتِ الجملة قبلها، والتَّقدير: أيُقرُّون به أَمْ يقولون افتراه"[(٣)].

ونلحظ دخول (أمْ) في هذا الموضع على لفظٍ له ضدٌّ في المعنى، وهو قوله: (افتراه) فالافتراء، والكذب، ضدُّهما: الإقرار، والصِّدق، ومِنْ هنا أفصحتِ الآية الكريمة عن محذوف يناقض المذكور، باستعمال واسطة، تتمثَّل في أداة رابطة، تدلُّ على علاقة الضِّدِّيَّة، فيكون تقدير المعطوف عليه: أيُقرُّون ويُصدِّقون به، أَمْ يقولون كذبٌ افتراه؟

أمَّا الظَّاهر والرَّاجح عند أبي حيَّان في هذه المسألة، فهو القول بأنَّ (أَمْ) في مِثْل هذه التَّراكيب منقطعة لا متَّصلة، وقد تقرَّر ذلك عند تحليله لقوله ـ تعالى ـ : ﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكٌۢ بَعْضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَضَآئِقٌۢ بِهِۦ صَدْرُكَ أَن يَقُولُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنزٌ أَوْ جَآءَ مَعَهُۥ مَلَكٌ ۚ إِنَّمَآ أَنتَ نَذِيرٌ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ﴾[(٤)] حيث يذهب إلى أنَّ "الظَّاهر أنَّ (أمْ) منقطعة تتقدَّر

(١) النَّحْو الوافي، عبَّاس حَسَن، ٥٩٣/٣.
(٢) سورة يُونُس: ٣٧/١٠-٣٨.
(٣) البحر المحيط، أبو حيَّان، ١٢٤/١٥.
(٤) سورة هود: ١٢/١١-١٣.

بِـ(بل) والهمزة، أي: أيقولون افتراه؟ وقال ابن القشيريِّ: (أم) استفهام توسَّط الكلام على معنى: أيكتفون بما أوحيتُ إليك مِنَ القرآن، أم يقولون إنَّه ليس مِنْ عند الله؟ فإن قالوا: إنَّه ليس مِنْ عند الله، فليأتوا بمثله، انتهى. فجعل (أمْ) متَّصلة، والظَّاهر الانقطاع"[1].

ونلحظ أنَّ في قول ابن القشيريّ: (استفهام توسَّط الكلام) دليلًا على وقوع (أمْ) بين عنصرينِ مربوطينِ، طرفٌ أوَّلُ محذوفٌ مقدَّرٌ، وهو: (الاكتفاء بما أُوحي إليك)، وطرفٌ ثانٍ مذكورٌ في الآية، وهو: (قولهم إنَّه افتراء وليس مِنْ وحي الله)، والرَّابط بينهما هنا (أمِ) الفصيحة. كما أنَّ في قوله عند التَّقدير: (على معنى) إشارةً إلى اعتماده على المعنى في تقدير المحذوف مِنَ الكلام؛ حيثُ إنَّ "المعنى الذِّهنيَّ في الاستعمال اللُّغويّ ليس نتيجةَ قياسٍ صُوْريٍّ منطقيٍّ، وإنَّما هو نتيجة علاقات ذهنيَّة متنوِّعة، تربط المدركات بما يترتَّب عليها، أو بما تستدعيه إلى الذِّهن"[2].

ويقول أبو حيَّان في تحليل قول الله ـ تعالى ـ: ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلۡإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيۡهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُۥ نِعۡمَةٗ مِّنۡهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدۡعُوٓاْ إِلَيۡهِ مِن قَبۡلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادٗا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِۦۚ قُلۡ تَمَتَّعۡ بِكُفۡرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِ ۝٨ أَمَّنۡ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ سَاجِدٗا وَقَآئِمٗا يَحۡذَرُ ٱلۡأٓخِرَةَ وَيَرۡجُواْ رَحۡمَةَ رَبِّهِۦۗ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾[3]: "ولَمَّا شرح ـ تعالى ـ شيئًا مِنْ أحوال الضَّالِّينَ المشركينَ، أردفه بشرح أحوال المهتدينَ الموحِّدينَ، فقال: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَنِتٌ﴾..."[4].

---

(١) البحر المحيط، أبو حيَّان، ١٥/٢٨٧.

(٢) مفاهيم ومواقف في اللُّغة والقرآن، تَمَّام حَسَّان، ص١٣١.

(٣) سورة الزُّمَر: ٣٩/٨-٩.

(٤) البحر المحيط، أبو حيَّان، ٢٢/٢٨٤.

فاشتمل تحليل أبي حيَّان على تأويلات لبعض علماء معاني القرآن، وإعرابه، وتفسيره، وقراءاته؛ وذلك لتوجيه الأداة (أمِ) الواردة في هذه الآية، فقد سارت أقوالهم في أربعة اتِّجاهات، وفق بعض الظَّواهر اللُّغويَّة: كالإنابة، والحَمْل على المعنى، وما إلى ذلك، وسأعرضها مرتَّبةً حسب تواريخ وَفَيَات أصحابها، وهي كالآتي:

الأوَّل: الفرَّاء (ت: ٢٠٧هـ) يرى إنابة الهمزة مُناب ياء النِّداء في الاستعمال، فكأنَّه قال: يا مَنْ هو قانت، "وهو وجهٌ حَسَنٌ، العرب تدعو بألِف، كما يدعون بيا، فيقولون: يا زيد أقْبِل، وأزَيد أقْبِل"(١). وذلك وفقًا لقراءة تخفيف الميم (أَمَنْ)(٢). وقد ضعَّف هذا الرَّأيَ: الفارسيُّ(٣) وأبو حيَّان(٤).

الثَّاني: الأخفش (ت: ٢١٥هـ) يذهب إلى أنَّ مَنْ قرأ بالتَّخفيف (أَمَنْ) فقراءته ضعيفة(٥)، فيعمد إلى قراءة تشديد الميم (أَمَّنْ)، ويرى حينئذٍ أنَّ (أمْ) متَّصلة، ومعادِل ما بعدها وهو المعطوف عليه محذوف، تقديره: أهذا الكافر خير أمْ مَنْ هو قانت؟ ويعترضه أبو حيَّان محتجًّا بأنَّ مِثْل هذا التَّقدير، وحذْف المعادِل الأوَّل يحتاج إلى السَّماع. وذاك التَّقدير وحذف المعادِل الأوَّل، وتلك القراءة بالتَّشديد، هما عندي مناط البحث. وعلى رأي الأخفش يمكن القول بإفصاح (أَمْ).

---

(١) معاني القرآن، الفرَّاء، ٤١٦/٢.

(٢) يُنْظَر: السَّبعة، ابن مُجاهد، ص٥٦١، وإعراب القراءات الشَّواذّ، العُكْبَريُّ، ٤٠٥/٢-٤٠٦.

(٣) يُنْظَر: الحُجَّة للقُرَّاء السَّبْعة، أبو عليّ الفارسيّ، ٩٣/٦.

(٤) يُنْظَر: البحر المحيط، أبو حيَّان، ٢٨٥/٢٢.

(٥) ذَكَرَهُ النَّحَّاس في إعراب القرآن، ص٧٦٢، وأبو حيان في البحر المحيط، ٢٨٥/٢٢، بَيْدَ أنِّي لم أجده في كتاب معاني القرآن للأخفش.

الثَّالث: النَّحَّاس (ت: ٣٣٨هـ) يذهب إلى أنَّ (أمْ) منقطعة، في ضوء الحَمْل على المعنى لا اللَّفظ، فَـ(أمْ) عنده محمولة على معنى (بَلْ)، و(مَنْ) محمولة على معنى (الَّذي)، والتَّقدير: بل الَّذي هو قانت أفضل مِمَّنْ ذُكر[١].

الرَّابع: أبو حيَّان (ت: ٧٤٥هـ)[٢] الظَّاهر عنده أنَّ الآية على حذف الخبر.

فالهمزة في (أَمَنْ) للاستفهام التَّقريريِّ، وقد حذف المقابِل الثَّاني مع (أمْ)، والتَّقدير: أهذا القانت خير أَمِ الكافر؟ ويعضِّد رأيه قول الشَّيخ خالد الأزهريّ الآنف الذِّكر، وذلك مِنْ حيث اختصاص "الفاء والواو بجواز حذفهما مع معطوفهما للدَّليل، ويشاركهما في ذلك (أَمِ) المتَّصلة"[٣]، فضلًا عن استدلال أبي حيَّان بما يأتي:

القراءة القرآنيَّة (أَمَنْ) بالتَّخفيف، فتكون الكلمة مركَّبة مِنْ أداة الاستفهام (الهمزة) و(مَنْ)، ولا يَلتفت لِمَنْ ضعَّف تلك القراءة؛ حيث إنَّها تقتضي حذف (أمْ) والمقابِل. أمَّا في قراءة التَّشديد (أمَّنْ) فتُذكر فيها (أمْ) وتكون مدغمة في ميم (مَنْ) فيكون التَّركيب (أمْ) مضافًا إليها (مَنْ).

الشَّاهد الشِّعريُّ، الَّذي حُذف منه المقابِل الثَّاني (أمْ غَيٌّ) وهو قول الشَّاعر:

دَعَانِي إِلَيْهَا القَلْبُ، إِنِّي لِأَمْرِهَا  سَمِيْعٌ، فَمَا أَدْرِي: أَرُشْدٌ طِلَابُهَا؟

القرينتانِ اللَّفظيَّتانِ، فإحداهما سابقة لـ(أمْ)، والأخرى لاحقة، وهما: قوله: ﴿قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ﴾ وقوله: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

وخلاصة القول: إنَّ ورود هذا الأسلوب اللُّغويّ في القرآن الكريم يعدُّ دليلًا على أصالته، فما وُصف بأمِ المتَّصلة في حال حذف المعطوف عليه، يقع ضمن فكرة (أمِ)

---

(١) يُنْظَر: إعراب القرآن، النَّحَّاس، ص٧٦٢، والبيان في روائع القرآن، تمَّام حسَّان، ٢٠٢/٢.

(٢) يُنْظَر: البحر المحيط، أبو حيَّان، ٢٨٥/٢٢.

(٣) التَّصريح بمضمون التَّوضيح" الشَّيخ/ خالد الأزهريّ، ٦٢٢/٣.

الفصيحة، مِنْ حيث تقدير الرَّابط اللَّفظيّ، أي: اتِّصالها بمحذوف يسبقها، وإفصاحها عنه، ومِنْ ثَمَّ تقديره؛ ليستقيم اللَّفظ، ويتَّضح المعنى. كما أنَّ بينهما علاقةَ عموم وخصوص، مِنْ حيث كون أمِ الفصيحة أخصّ مِنْ أمِ المتَّصلة، فالمتَّصلة تجيء مع ذكر المعطوف عليه، ومع حذفه، بينما تأتي الفصيحة مع حذف المعطوف عليه فقط.

ولعلَّ مجيء (أمِ) المتَّصلة الرَّابطة بين عنصرينِ هو الأصل في استعمالها اللُّغويّ، فجاءت هذه الفكرة، حَمْلًا على الأصل، يقول السُّهيليُّ: "وأحسبُ جميع ما جاء منها في القرآن، إنَّما هو على أصلها الأوَّل مِنَ المعادِلة... لأنَّ القرآن كلَّه مبنيٌّ على تقريع الجاحدينَ، وتبكيت المعاندينَ، وهو كلُّه كلامٌ واحد، كأنَّه معطوفٌ بعضه على بعض، فإذا وجدتَّ (أمْ) وليس قبلها استفهام في اللَّفظ، فهو متضمَّنٌ في المعنى، معلومٌ بقوَّة الكلام"(١). أمَّا إحلال غيرها محلّها، كـ(بَلْ) و(الهمزة)، أو حَمْلها على معنى غيرها، بسبيل تناوب الأدوات، فقد يكون مِنْ باب التَّطوُّر اللُّغويّ في استعمال الأداة (أمْ).

وفي ضوء هذه الرُّؤية اللُّغويَّة للسُّهيليِّ، يقول ابن القيِّم: "وهذا يظهر كلّ الظُّهور فيما إذا كان الَّذي دخلت عليه (أمْ) له ضدّ، وقد حصل التَّردُّد بينهما فإذا ذُكر أحدهما أُستغنيَ به عن ذكْر الآخر؛ لأنَّ الضِّدَّ يخطر بالقلب، وهو عند شعوره بضدِّه... وهذه طريقةٌ بديعةٌ عجيبةٌ في القرآن"(٢)، وذلك مِنْ حيث كونها تشكِّل طرفينِ مربوطينِ متضادَّينِ، يجمعهما علاقة واحدة، ومِنْ ثَمَّ تسهم تلك العلاقة في الرَّبط والانسجام بين الكلام.

---

(١) نتائج الفكر في النَّحْو، السُّهيليُّ، ص٢٠٥-٢٠٦.

(٢) بدائع الفوائد، ابن القيِّم، ١/٢٠٧-٢٠٨.

ويتبيَّن مِنْ هذا الدَّورُ المعنويُّ في الكشف عن العلاقة القائمة بين العناصر اللُّغويَّة الَّتي دخلت عليها (أَمْ)، فإدراك العلاقة بين تلك العناصر جاء في ضوء معنى الضِّدّ، وفقًا لفكرة الاستدعاء، فذِكْر الشَّيء يستدعي ضدَّه. ومِنْ هنا فهل هذا الاستعمال يكون مع إرادة الضِّدّ فقط؟ أقول: يَكثُر ويَشيع مع هذا المعنى -كما هو ظاهر في بعض الأمثلة السَّالفة موضع الاستدلال- ولكن لا يقتصر عليه، فالضِّدُّ يعدُّ أحد الاستعمالات.

والأصل في أمِ المتَّصلة -مِنْ حيث الذِّكر والحذف- هو ذكْر الطَّرفينِ المتعادِلَينِ، لذا لا نسأل عن سرِّ مجيء التَّركيب على هذه الصُّورة؛ لأنَّها جاءت على الأصل. أمَّا إذا حُذف أحد الطَّرفينِ فيكون الكلام قد انتقل مِنَ الأصل إلى الفرع، وحينئذٍ نبحث عن الأسباب، والعلل، والغايات. ويظهر هنا العناية بوجود أصل؛ لنبنيَ عليه التَّغْيُّرات الطَّارئة على النِّظام التَّركيبيِّ في الجملة العربيَّة.

ونلحظ مِمَّا سبق أنَّ تفسير البحر المحيط لا يعتدُّ بهذا النَّوع مِنَ التَّأويل، أعني أنَّه لا يُجيز العطف على محذوفٍ مقدَّرٍ، فنجدُ أنَّ أبا حيَّان يميلُ في مِثْل تلك التَّراكيب إلى القول بأنَّ (أمْ) منقطعة لا متَّصلة، ويُقدِّرها على معنى (بل) والهمزة، ذاهبًا في ذلك مذهب سيبويه[1].

(١) يُنْظَر: الكتاب، سيبويه، ١٧٢/٣.

# المبحث الثَّاني:

## الرَّبط بـ(بَلِ) الفصيحة

يعدُّ النَّصُّ القرآنيُّ مثالًا فريدًا للرَّبط والاتِّساق، فليست "اللُّغة في حقيقة أمرها إلَّا نظامًا مِنَ الكلمات، الَّتي ارتبط بعضها ببعض ارتباطًا وثيقًا، تحتِّمه قوانين معيَّنة لكلِّ لغة"(١). ويظهر ذلك في استعمال بعض حروف العطف مع محذوفات مقدَّرة.

وقد استيقظ نظري إلى إمكان تسمية حرف العطف (بَلْ) في هذا المبحث (بَلِ) الفصيحة قول الشِّهاب الخفاجيّ: "رأيتُ بخطِّ بعض الفضلاء المتأخِّرينَ أنَّ (بَلْ) هذه ينبغي أن تسمَّى فصيحة؛ لأنَّ المعنى: فما أجابوا أو ما قدروا، بَلْ كذَّبوا"(٢)، وذلك مِنْ حيث العطف بِـ(بَلْ) على محذوف مقدَّر في قوله ـ تعالى ـ: ﴿بَلْ كَذَّبُواْ بِمَا لَمْ يُحِيطُواْ بِعِلْمِهِۦ﴾(٣).

وأسوق لذلك النَّماذجَ القرآنيَّةَ كونها المصدر الأوَّل للاحتجاج في النَّحو العربيِّ؛ وذلك للكشف عن إمكان القول بإفصاح (بَلْ)، يقول الله ـ تعالى ـ: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ﴾(٤) ذهب أبو حيَّان إلى أنَّ "بَلْ هنا عاطفةٌ جملةً على جملةٍ محذوفةٍ، التَّقدير: لا نتَّبع ما أنزل الله، بَلْ نتَّبع ما ألفينا عليه آباءنا"(٥).

---

(١) مِنْ أسرار اللُّغة، إبراهيم أنيس، ص٢٩٥.

(٢) حاشية الشِّهاب على تفسير البيضاويّ، الشِّهاب الخفاجيّ، ٥٢/٥.

(٣) سورة يُونُس: ٣٩/١٠.

(٤) سورة البقرة: ١٧٠/٢.

(٥) البحر المحيط، أبو حيَّان، ٢٥١/٤، ويُنْظَر: الدُّرُّ المصون، السَّمين الحلبيُّ، ٢٢٦/٢، وإرشاد العقل السَّليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السُّعود، ١٨٨/١.

فوقعت (بَلْ) بين جملتينِ، إحداهما: محذوفة مُقدَّرة منفيَّة، وهي جملة المعطوف عليه (لا نتَّبع ما أنزل الله)، والأخرى: مذكورة، وتفيد دلالة الإيجاب، وهي جملة المعطوف: (نتَّبع ما ألفينا عليه آباءنا). فالإضراب عن منفيٍّ إلى موجَبٍ.

ومِنَ اللَّافت للنَّظر هنا مجيء (بَلْ) مع الحدث وهو الاتِّباع، والمحدَّث عنه وهو المقصود بالاتِّباع، وتحقيق ذلك أنَّ الإضراب يأتي على ثلاثة أضرب، الأوَّل: الإضراب عن المحدَّث عنه لا الحدث، كقولنا: أكرمتُ زيدًا بَلْ خالدًا، فالحدث هنا واحد، وهو الإكرام، في حين تعدَّد المحدَّث عنه، فوقع التَّحوُّل عن إكرام زيد إلى إكرام خالد. والثَّاني: الإضراب عن الحدث، بينما المحدَّث عنه شخص واحد، وهو زيد، نحو: ضربتُ زيدًا بَلْ أكرمتُه، فالإضراب هنا عن حدث الضَّرب إلى المقصود، وهو حدث الإكرام. والثَّالث: الإضراب عن المحدَّث عنه والحدث معًا، وهو القياس، نحو: ضربتُ زيدًا بَلْ أكرمتُ خالدًا، فجاء الإضراب عن شخص زيد والإثبات لخالد، وكذا عن حدث الضَّرب إلى حدث الإكرام(١).

أمَّا الآية الكريمة فتمثِّل الضَّرب الأوَّل، وذلك مِنْ حيث المجيء مع حدث واحد، وهو الاتِّباع، والإضراب إنَّما هو عن المحدَّث عنه، فإضرابهم عن اتِّباع ما أنزل الله، فأتى بعد (بَلْ) بمحدَّث عنه آخر، وهو اتِّباع ما وجدوا عليه آباءهم.

ويقول العُكْبَريُّ: "بلْ ها هنا للإضراب عن الأوَّل، أي: لا نتَّبع ما أنزل الله، وليس بخروج مِنْ قصَّةٍ إلى قصَّةٍ"(٢)، ففي كلامه إلماحٌ خفيٌّ عن وظيفة (بَلِ) الاستعماليَّة، ودورها في ربْط السَّابق باللَّاحق؛ إذ إنَّ الكلام لم ينته بعد ليأتي غيره، بل هو قصَّة واحدة مترابطة، فهو عبارة عن طرفينِ مربوطينِ، وثمَّة وسيلة رابطة بينهما، وهي

(١) يُنْظَر: شَرْح المُفَصَّل، ابن يعيش، ٨/١٩٠-١٩١.
(٢) التِّبيان، العُكْبَريُّ، ١/١٣٩.

(بَلِ) الفصيحة. وفي قوله: (وليس بخروجٍ مِنْ قصَّةٍ إلى قصَّةٍ)، تصديقٌ لما سبق ذكْره، وهي تقترب في هذا مِنَ الإضراب الإبطاليّ لا الانتقاليّ.

ومنه أيضًا قوله ـ تعالى ـ: ﴿قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ۝٦٢ قَالُواْ بَلْ جِئْنَاكَ بِمَا كَانُواْ فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾[١] والمراد: ما جئناك بما يُخيفك، بَلْ جئناك بما يَسرُّك، ألا وهو: عذاب أعدائك، الَّذي طالما وعَدْتَهم بمجيئه، وكانوا به يكذِّبون[٢].

ونأخذ لذلك مثالًا آخر في قوله ـ عزَّ وجلَّ ـ: ﴿قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالَ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِاْئَةَ عَامٍ﴾[٣] يرى أبو حيَّان أنَّ (بَلْ) لعطف جملة: (قال بَلْ لبثْتَ مئة عام)، على جملة محذوفة، وتقديرها: "قال ما لبِثْتَ هذه المدَّة، بل لبِثْتَ مئة عام"[٤]، فهو تحوُّل عن ذلك القَدْر مِنَ الزَّمن إلى هذا المقدار. وهكذا فإنَّ (بَلِ) الفصيحة تعني: "الإضراب عن جملة محذوفة"[٥]، ومِنْ ثَمَّ تقدير ذلك المحذوف، وربطه بالمذكور، بالأداة الرَّابطة؛ وذلك للوصول إلى فَهم أدقّ وأمثل للنَّصّ القرآنيّ.

ونأخذ آيتينِ مِنْ سورة يوسف؛ نَتِدُ بهما ما أسلفنا القول فيه:

الأُولى: قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٍ كَذِبٍۚ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًاۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌۖ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾[٦] يقول أبو حيَّان: "هنا

---

(١) سورة الحِجْر: ١٥/٦٢-٦٣.

(٢) يُنْظَر: الكشَّاف، الزَّمخشريُّ، ٢/٥٦٠، والبحر المحيط، أبو حيَّان، ١٦/٦٧٠، والتَّفسير الوسيط، مُحَمَّد سيِّد طنطاويّ، ٨/٦١.

(٣) سورة البقرة: ٢/٢٥٩.

(٤) البحر المحيط، أبو حيَّان، ٦/٣٤٥.

(٥) دراسات لأسلوب القرآن الكريم، مُحمَّد عبد الخالق عُضَيْمَة، ٢/٦٤.

(٦) سورة يُوسُف: ١٢/١٨.

محذوفٌ تقديره: لم يأكله الذِّئب، بَلْ سوَّلتْ"[1] فالجملة المقدَّرة الواقعة قبل (بَلْ) في محلِّ نصب مقول القول.

والثَّانية: قوله ـ تعالى ـ : ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾[2] ولتحقُّق معنى الإضراب في (بَلْ) هنا يشترط أبو حيَّان حذف المُضْرَب عنه، فيقول: "و (بَلْ) للإضراب، فيقتضي كلامًا محذوفًا قبلها، حتَّى يصحَّ الإضراب فيها، وتقديره: ليس الأمرُ حقيقةً كما أخبرتم، بَلْ سوَّلتْ"[3]، فكان الإضراب باستعمال (بَلْ) عبارة عن إضراب كلام على موقف.

وحاصل القول: لا شكَّ في أنَّ دراسة موضوع الإفصاح في حروف العطف جديرٌ بتأمُّله، مِنْ خلال دعامتينِ، الأُولى: الأمثلة القرآنيَّة المذكورة موضع التَّمثيل والاستدلال، والثَّانية: إبراز بعض الجهود العِلْميَّة القيِّمة، والإشارات المفيدة الَّتي ذكرها علماؤنا في المصنَّفات النَّحويَّة، وفي كتب تفسير القرآن، ومعانيه، وإعرابه؛ للكشف عن دور مفهوم الإفصاح، وأثره في ظاهرة الرَّبط، والوقوف على بعض أنماطه وصوره.

والَّذي أراه تأسيسًا على ما سبق، أنَّ المحذوف المقدَّر الَّذي أفصحت عنه (بَلْ) هو المُضْرَب عنه، وتلك حالةٌ مِنْ حالات المربوط المقدَّر. ومناط السُّؤال هنا: هل جملة مقول القول في مِثْل هذه النَّماذج القرآنيَّة هي موضع التَّقدير؟ إذ قد يتبادر إلى الذِّهن منذ الوهلة الأولى أنَّ المقدَّر هنا هو جملة مقول القول، غير أنَّ الأسلوب القرآنيَّ يَستعمِلُ الفعلَ (قال) حينما يحكي حدثًا، حيث فعل القول المذكور، فالمحكيّ المُضْرَب عنه المحذوف المقدَّر، ثُمَّ الأداة الرَّابطة (بَلْ) ثُمَّ المقصود بالحُكْم، فيكون الكلام مسبوكًا، والمعنى مترابطًا.

---

(١) البحر المحيط، أبو حيَّان، ٥٥/١٦، ويُنْظَر: مفاتيح الغيب، الرَّازيُّ، ٤٣٠/١٨.

(٢) سورة يُوسُف: ٨٣/١٢.

(٣) البحر المحيط، أبو حيَّان، ٢١١/١٦.

# المبحث الثَّالث:
# الرَّبط بـ(ثُمَّ) الفصيحة

مِنْ وظائف (ثُمَّ) في الجملة العربيَّة أنَّها تقتضي التَّرتيب والتَّراخي، ولَمَّا كان هذا هو مدلولها، وقع الإشكال في تحليل قوله ـ تعالى ـ : ﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ثُـمَّ جَعَـلَ مِنْهَـا زَوْجَهَـا﴾[١] وقد أجاب ابن هشام عن هذا الإشكال بأوجه، "أحدها: أنَّ العطف على محذوف، أي: مِنْ نَفْسٍ واحدةٍ أنشأها، ثُمَّ جعل منها زوجَها"[٢]، فقدَّر معطوفًا عليه، وهو الجملة الفعليَّة (أنشأها)، فكشف بهذا عن وظيفتها الاستعماليَّة في ترتيب الأحداث وتراخي الأخبار.

ومِنْ مُثُل ذلك قوله ـ تعالى ـ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُواْ ثُمَّ أَحْيَـٰهُمْ﴾[٣] يقول أبو حيَّان: "وفي الكلام حذفٌ، التَّقدير: فماتوا"[٤] ثُمَّ أحياهم، فالفاء في (فماتوا) توحي بدلالة سرعة الامتثال لأمر الله، المعبَّر عنه بصيغة إنشائيَّة طلبيَّة مِنْ خلال فعل الأمر (مُوتُوا)، فأمرُه كُنْ فيكون. فجاء الامتثال، فماتوا، ثُمَّ عطف بعد ذكْر الموت وحصوله باستعمال الأداة (ثُمَّ) وأردفها بذكْر الإحياء؛ بناءً على تراخي الإحياء عن الإماتة[٥]. وهكذا فإنَّ المعنى: (قال لهم الله: مُوتُوا، فَمَاتُوا، ثُمَّ أحياهم). فثمَّة إذنْ غرضٌ دلاليٌّ، ومِنْ هنا نلحظ وظيفة التَّقدير في تحليل الجُمَل، ودوره في تحقيق أغراض دلاليَّة.

---

(١) سورة الزُّمَر: ٦/٣٩.

(٢) مُغني اللَّبيب، ابن هشام، ص١٦٩.

(٣) سورة البقرة: ٢٤٣/٢.

(٤) البحر المحيط، أبو حيَّان، ١٨٦/٦.

(٥) يُنْظَر: الكشَّاف، الزَّمخشريُّ، ٢٨٦/١، والبحر المحيط، أبو حيَّان، ١٨٧/٦، والدُّرُّ المصون، السَّمين الحلبيّ، ٥٠٧/٢.

وأنتقلُ إلى صورة أخرى مِنْ صور (ثُمَّ)، وهي تقدُّم أداة الاستفهام عليها، نحو قوله ـ عزَّ وجلَّ ـ : ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُهُۥ بَيَٰتًا أَوْ نَهَارًا مَّاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ ٱلْمُجْرِمُونَ ۝ أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ ءَامَنتُم بِهِۦٓ﴾[1] ومِنْ ثَمَّ فللآية توجيهات متعدِّدة لموضع الشَّاهد: (أَثُمَّ) مِنْ حيث مجيء همزة الاستفهام مع حرف العطف، أشهرها مذهب سيبويه، وأبي حيَّان، وعامَّة النَّحويِّينَ، إذ يرون أنَّ ثمَّة تقديمًا وتأخيرًا، فلمَّا كان للهمزة الصَّدارة في الكلام، قُدِّمتْ على حرف العطف[2]. أمَّا الزَّمخشريُّ فقد خالَف رأي الجماعة الآنف الذِّكر، فذهب في ذلك مذهبًا فريدًا، فرأى ألَّا تقديم ولا تأخير في الكلام، و(ثُمَّ) بعد الهمزة واقعة موقعها، وأنَّ بين همزة الاستفهام وحرف العطف جملة محذوفة، وهي جملة المعطوف عليه، عطفت عليها الجملة الواقعة بعد (ثُمَّ)، مقدِّمًا في ذلك القول بالحذف والتَّقدير، على القول بالتَّقديم والتَّأخير. وعلى هذا يكون التَّقدير: أتأمنون أن يَنزلَ بكم العذاب، ثُمَّ يُقال لكم إذا حَلَّ بكم: الآنَ آمنتم به؟[3] وحينئذٍ تكون (ثُمَّ) رابطًا مذكورًا لمحذوفٍ مقدَّرٍ.

وثمَّة رأيٌ حادثٌ يرى أنَّ ما لا يحتاج إلى تأويل أَولى مِمَّا يحتاج إلى تأويل –في هذا الموضع– فيذهب إلى أنَّ الهمزة للاستفهام، و(ثُمَّ) للاستئناف، ولا حاجة عنده للتَّكلُّف، واللُّجوء إلى القول بالحذف والتَّقدير، أو القول بالتَّقديم والتَّأخير[4].

---

(١) سورة يُونُس: ١٠/٥٠–٥١.

(٢) يُنْظَر: الكتاب، سيبويه، ٣/١٨٨–١٨٩، والمقتَضَب، المبرِّد، ٣/٣٠٧–٣٠٨، والبحر المحيط، أبو حيَّان، ٢/٢٠٠.

(٣) يُنْظَر: إعراب القرآن، النَّحَّاس، ص٤١٠، والكشَّاف، الزَّمخشريُّ، ٢/٣٣٩، والبحر المحيط، أبو حيَّان، ١٥/١٤٧–١٤٨، وارتشاف الضَّرَب مِنْ لسان العرب، أبو حيَّان، ٤/١٨٦٢، و٥/٢٣٦٦، والدُّرُّ المصون، السَّمين الحلبيّ، ٦/٢١٧.

(٤) يُنْظَر: النَّحْو الوافي، عبَّاس حَسَن، ٣/٥٧٢.

ويبدو لي أنَّه لا يوجد في القول بالحذف والتَّقدير هنا -على رأي الزَّمخشريِّ- تكلُّفٌ، حيث إنَّ اللُّغة هي وسيلة الإبداع والتَّفكير، ومِنْ هنا فإنَّ البحث والتَّنقيب عن علَّة خبيئة تسهم في تحليل النُّصوص وفَهمها فَهمًا صحيحًا يعدُّ نشاطًا ذهنيًّا وإبداعًا لغويًّا.

وإنَّ الشَّائع في كتب النَّحو عند أبي الحَسَن الأخفش والكوفيِّينَ في تأويل قوله ـ تعالى ـ: ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓاْ﴾[١] وَصْف (ثُمَّ) بأنَّها زائدة[٢]. وقد ردَّ أبو حيَّان هذا الرَّأي، بقوله: "وغيرُ ثابتٍ مِنْ لسان العرب زيادة (ثُمَّ)"[٣].

ونلحظ تباين لفظ المقدَّر الَّذي أفصحت عنه (ثُمَّ) في الآية، فقدَّره الرَّازيُّ بقوله: "لا بُدَّ ها هنا مِنْ إضمار... تاب عليهم ثُمَّ تاب عليهم"[٤]. أمَّا الدُّكتور تمَّام حسَّان فذهب إلى أنَّ ثمَّة محذوفًا في الآية، وتقديره: (غَفَر لهم، ثُمَّ تابَ عليهم)، فيرى أنَّ حرف العطف والفعل الماضي بعده يمثِّلان قرينةً لفظيَّةً كاشفةً عن المحذوف؛ بناءً على علاقة التَّلازم بين حصول المغفرة والتَّوبة[٥]، فتلك علاقة منبئة عن المربوطَينِ في الآية، وعن الوسيلة الرَّابطة بينهما.

وقد يثار هنا التَّساؤل: هل يُسلَّم للدُّكتور تمَّام بهذا الارتباط المعنويِّ بين وقوع المغفرة ثُمَّ التَّوبة، أو أنَّه يصحّ القول بالتَّوبة ابتداءً، ومِنْ ثَمَّ فلا حاجة لمِثْل هذا التَّقدير؟ قد تكون التَّوبة نتيجة لمقدِّمة، وهي الغفران، فمفهومها الشَّرعيّ واسع...

---

(١) سورة التَّوبة: ١١٨/٩.

(٢) يُنْظَر: شرح المفَصَّل، ابن يعيش، ١٧٤/٨-١٧٥، وشرح الرَّضيِّ على كافية ابن الحاجب، رضيّ الدِّين الأستراباذيّ، ١٦٠/٦، وارتشاف الضَّرَب مِنْ لسان العرب، أبو حيَّان، ١٩٨٩/٤، وهَمْع الهوامع في شَرْح جَمْع الجوامع، السُّيوطيُّ، ٢٣٧/٥.

(٣) البحر المحيط، أبو حيَّان، ٤٩٢/١٤.

(٤) مفاتيح الغيب، الرَّازيُّ، ١٦٥/١٦.

(٥) يُنْظَر: مفاهيم ومواقف، تمَّام حَسَّان، ص٢٨٧.

والخلاصة مِمَّا سبق، اقتضاء رأي الزَّمخشريِّ جواز القول بإفصاح (ثُمَّ) في مِثْل هذا النَّمط التَّركيبيّ، وذلك بتقدير المعطوف عليه المحذوف، الواقع بين همزة الاستفهام والأداة (ثُمَّ).

## المبحث الرَّابع:

## الرَّبط بـ(حتَّى) الفصيحة

مِنَ المعلوم قلَّة العطف بـ(حتَّى) في كلام العرب، "وأهل الكوفة ينكرونه ألبتَّة"(١). ومِنَ الأهمِّيَّة بمكان إبراز وظيفتها الغائيَّة، فهي غالبًا تكون غاية لجملة، أي: أن يكون المعطوفُ غايةً للمعطوف عليه، يقول ابن مالكٍ في ألفيَّته(٢):

بَعْضًا بِـ(حَتَّى) اعْطِفْ عَلَى كُلٍّ، يَكُونُ إِلَّا غَايَةَ الَّذِي

أمَّا ما يتعلَّق بحذف المعطوف عليه مع (حتَّى)، فقد نصَّ أبو حيَّان على ندرة مجيء ذلك(٣)، مستدلًّا بقول الفرزدق(٤): [طويل]

فَيَا عَجَبا حَتَّى كُلَيْبٌ تَسُبُّنِي كَأَنَّ أَبَاهَا نَهْشَلٌ أَو مُجَاشِعُ

موضع الشَّاهد: (فَيَا عَجَبا حَتَّى كُلَيْبٌ تَسُبُّنِي). ولصحّة التَّركيب، واستقامة المعنى "لا بُدَّ مِنْ تقدير محذوف قبل (حتَّى) في هذا البيت، يكون ما بعد (حتَّى) غايةً له، أي: فَوا عَجَبا يَسُبُّنِي النَّاسُ حَتَّى كُلَيْبٌ تَسُبُّنِي"(٥).

---

(١) مُغني اللَّبيب، ابن هِشام، ص١٨٢، ويُنْظَر: ارتشاف الضَّرَب مِنْ لسان العرب، أبو حيَّان، ١٩٧٨/٤-١٩٩٨، وهَمْع الهوامع في شَرْح جَمْع الجوامع، السُّيوطيُّ، ٢٦٠/٥.

(٢) ألفيَّة ابن مالك في النَّحو والتَّصريف، ابن مالك، ص١٣٧.

(٣) يُنْظَر: البحر المحيط، أبو حيَّان، ٤٧٨/٣.

(٤) البيت للفرزدق في: شَرْح ديوان الفرزدق، ص٥١٨، والكتاب، سيبويه، ١٨/٣، ومُغني اللَّبيب، ابن هِشام، ص١٨٣، وخزانة الأدب ولُبّ لباب لسان العرب، البغداديُّ، ٤٠٣/٥-٤٠٤، و٤٧٦/٩. وبلا نِسْبة في: المقتَضَب، المبرّد، ٤١/٢، ورصف المباني، المالقيُّ، ص٢٥٧، والبحر المحيط، أبو حيَّان، ٤٧٨/٣.

(٥) مُغني اللَّبيب، ابن هِشام، ص١٨٣.

ولَمَّا كانتِ الغائيَّة هي العلاقة الرَّابطة بين المعطوف والمعطوف عليه، لم يكن هناك بُدٌّ مِنِ اتِّفاقهما في الجنس؛ "لأنَّها لَمَّا كانت الغاية والدَّلالة على أحد طرفَي الشَّيء، فلا يُتصوَّر أن يكون طرف الشَّيء مِنْ غيره"(١)، فكُليب (المعطوف) مِنْ جنس النَّاس (المعطوف عليه). وحتَّى "تفيد معناها الَّذي هو الغاية في التَّحقير... كأنَّه يقول: كلُّ النَّاس تسبُّني، حتَّى كُليبٌ على حقارتها"(٢).

وواضح مِنْ هذا وظيفة (حتَّى) الغائيَّة، فضلًا عن دورها في الرَّبط بين كلٍّ وجزء؛ إذ إنَّ كُليبًا تعدُّ جزءًا مِمَّنْ يسُبُّه، وهم جَمْعٌ مِنَ النَّاس، فحُذف الكلُّ وذُكر الجزء، وبينهما علاقة البعضيَّة الحقيقيَّة، نحو: أكلتُ السَّمكةَ حتَّى رأسَها؛ لأنَّ مِنْ علاقاتها أن يكون الثَّاني بعض الأوَّل، أو يكون واحدًا مِنْ جَمْعٍ(٣).

وفي ضوء إفادة (حتَّى) معنى الغاية، وكلُّ غاية تقتضي ما هي غاية له، ومِنْ هنا تظهر الملاءمة بين معناها، ودورها، ووظيفتها في ربْط العناصر التَّركيبيَّة، يقول الله ـ تعالى ـ : ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ﴾(٤) ففي الآية إشارة إلى أنَّ "قوله: (حتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ البَحْرَيْنِ) غايةٌ مضروبةٌ تستدعي ما هي غاية له، فلا بُدَّ أن يكون المعنى: لا أبرح أسير، حتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ البَحْرَيْنِ"(٥).

---

(١) أسرار العربيَّة، أبو البركات الأنباريّ، ص٢٦٦.

(٢) خزانة الأدب، البغداديُّ، ٤٧٦/٩.

(٣) يُنْظَر: رصف المباني، المالقيُّ، ص٢٢٨، وارتشاف الضَّرَب مِنْ لسان العرب، أبو حيَّان، ١٩٩٨/٤، والجَنى الدَّاني في حروف المعاني، المراديُّ، ص٥٤٧، ومُغني اللَّبيب، ابن هشام، ص١٨١.

(٤) سورة الكهف: ٦٠/١٨.

(٥) الكشَّاف، الزَّمخشريُّ، ٧٠٢/٢.

ويظهر أثر هذا القول على معنى إفصاح (حتَّى). إذنْ، مِنَ العلاقات الجامعة هنا بين المربوطَينِ، علاقة الاستدعاء، فالجملة اللَّاحقة الواقعة بعد (حتَّى) تستدعي الجملة السَّابقة؛ لتكون لها غاية.

ومنه أيضًا قوله ـ عزَّ وجلَّ ـ : ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً﴾[١] يقول أبو حيَّان: "في الكلام حذفٌ تكون (حتَّى) غايةً له، تقديره: فعاش بعد ذلك، أو استمرَّت حياتُه"[٢] فلا بُدَّ مِنَ التَّقدير؛ فإنَّه مِنَ الطَّبيعيِّ في النُّموِّ البَشَريِّ المرور بمراحل، والتَّدرُّج في حياة الإنسان مِنْ لحظة حَمْله وفِطامه حتَّى بلوغه الرُّشد، فثمَّ مرحلةٌ عُمْريَّةٌ محذوفةٌ بينهما، وبتقديرها استقام التَّركيب، وصحَّ ارتباط ما بعد (حتَّى) بها.

ويقول الله ـ تعالى ـ : ﴿قَالَ مَا مَكَّنِّى فِيهِ رَبِّى خَيْرٌ فَأَعِينُونِى بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ۝٩٥ ءَاتُونِى زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ قَالَ ٱنفُخُوا۟ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا قَالَ ءَاتُونِىٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا﴾[٣] جاءت (حتَّى) هنا في موضعينِ، وقدَّر أبو حيَّان فيهما معطوفًا عليه محذوفًا، وتقديره في الأُولى: "فأتوه أو فآتوه بها، فأمر بِرَصِّ بعضها فوق بعض، حتَّى إذا ساوى"[٤] وفي الثَّانية: "فنفخوا حتَّى"[٥].

ومِنَ الجدير بالرَّصد هنا الإشارة إلى تعدُّد القراءات القرآنيَّة الواردة في لفظ (ءَاتُوني) في الموضعينِ؛ فعِلْم القراءات "مِنَ العلوم الَّتي ينبغي الاعتماد عليها في

(١) سورة الأحقاف: ١٥/٤٦.
(٢) البحر المحيط، أبو حيَّان، ٣٠٢/٢٣.
(٣) سورة الكهف: ٩٥/١٨-٩٦.
(٤) البحر المحيط، أبو حيَّان، ٢٥٧/١٨.
(٥) البحر المحيط، أبو حيَّان، ٢٥٩/١٨.

دراسة العربيَّة"[١]، وأجتزئُ بالقراءة الدَّالَّة على الأمر، ففي (ءَاتُوني) الأُولى: قرأ أبو بكر عن عاصم (ائتوني) وهو أمر مِنَ الثُّلاثيّ بمعنى المجيء مِنْ (أتى)، والمعنى: جيئوني[٢] وفي الثَّانية: قرأ حمزة ويحيى عن أبي بكر عن عاصم والأعمش وطلحة والمُطَوِّعيّ (ائتوني) وهو أمر مِنَ الثُّلاثيّ، والمعنى: جيئوني[٣].

وعلَّةُ ذِكْري لهذه القراءة هي مناسبتها لسياق الآية المقاميّ؛ لأنَّ المقام مَقامُ تحمُّل أعباء بناء الحاجز الحصين، وذاك أمرٌ شاقٌّ، دفعه إلى طلب العون، فنادى في قومه بصيغ الأمر المتتابعة: (أعينوني بقوَّة، وائتوني بزُبَر الحديد، فأتوه بها، وانفخوا، فنفخوا، وجيئوني...)، فثمَّة أوامر صادرة عن ذي القرنين، واستجابات مِنَ القوم. وعلى هذا يُصبح معنى الآية: (ائتوني بزُبَر الحديد، فأتوه بها، حتَّى إذا ساوى بين الصَّدفين، قال: انفخوا، فنفخوا، حتَّى إذا جعله نارًا...).

ويستبين مِمَّا سبق الاستعانة في الكشف عن الرَّبط بالسِّياق المقاليِّ والمقاميِّ، ودورهما في تفسير العلاقات التَّركيبيَّة، وأثر ذلك في جلاء الدَّلالة. وهكذا "إذا كان السِّياق هو الَّذي يعطي المدلولات، فإنَّه مِنْ جانب آخر هو الَّذي يعطي الشَّكل التَّركيبيَّ للعبارة، بحيث يكون هناك تفاعلٌ أكيدٌ بينهما، وكلَّما أتيح لنا بدقَّة رصد

---

(١) القراءات القرآنيَّة في ضوء عِلْم اللُّغة الحديث، عبد الصَّبور شاهين، ص٧.

(٢) يُنْظَر: معاني القرآن، الفرَّاء، ١٦٠/٢، والسَّبْعة، ابن مجاهد، ص٤٠٠، وإعراب القرآن، النَّحَّاس، ص٥١٩، والتِّبيان، العُكْبَريُّ، ٨٦١/٢، والبحر المحيط، أبو حيَّان، ٢٥٩/١٨، والنَّشر في القراءات العشر، ابن الجزريّ، ١٧٩٣/٥.

(٣) يُنْظَر: معاني القرآن، الفرَّاء، ١٦٠/٢، والسَّبْعة، ابن مجاهد، ص٤٠١، وإعراب القرآن، النَّحَّاس، ص٥١٩، والتِّبيان، العُكْبَريُّ، ٨٦١/٢، والبحر المحيط، أبو حيَّان، ٢٥٩/١٨، والنَّشر في القراءات العشر، ابن الجزريّ، ١٧٩٣/٥.

السِّياقات الَّتي تحيط بعمليَّة الإبداع، استطعنا تفهُّم الكثير مِنَ العلاقات التَّركيبيَّة بين أجزاء الكلام"[١].

ويقول الله ـ عزَّ وجلَّ ـ : ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَتَعْلَمَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾[٢] ويجدر بي الوقوف على سبب نزول هذه الآية؛ إذ إنَّه يعدُّ قرينةً دالَّةً على تعيين المحذوف، ومِنْ ثَمَّ ربطه بالمذكور، وذلك اعتمادًا على نظريَّة السِّياق اللُّغويّ وكذا سياق الموقف. فقد قيل: إنَّ الرَّسول ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ مُعاتَبٌ بهذه الآية، وذلك حين استأذنه المخَلَّفونَ في ترك الخروج معه للغزو، فأذن لهم، غير أنَّه لو لم يأذن لتبيَّن الصَّادق في أنَّ له عُذرًا مِنَ الكاذب الَّذي لا عذر له، فتلك علَّة العتاب[٣]. وبتقدير لفظ المحذوف يستبين لنا هذا المعنى، إذ التَّقدير: "ما كان لك أن تأذن لهم حتَّى يتبيَّن مَنْ له العذر"[٤].

وقد اختلف تأويل معنى (حتَّى) عند بعض المفسِّرينَ، نحو قوله ـ تعالى ـ : ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ٱلسَّيِّئَةَ ۚ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴿٩٦﴾ وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴿٩٨﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ﴾[٥] فجاء عند الزَّمخشريِّ أنَّ "(حتَّى) يتعلَّق "بيصفون"، أي: لا يزالون على

(١) البلاغة والأسلوبيَّة، مُحمَّد عبد المطَّلب، ص٣٢١.
(٢) سورة التَّوبة: ٤٣/٩.
(٣) يُنْظَر: جامع البيان، الطَّبريُّ، ٢٧٢/١٤-٢٧٣، والكشَّاف، الزَّمخشريُّ، ٢٦٥/٢-٢٦٦، والبحر المحيط، أبو حيَّان، ٢٦٠/١٤-٢٦١.
(٤) البحر المحيط، أبو حيَّان، ٢٦٢/١٤.
(٥) سورة المؤمنون: ٩٦/٢٣-٩٧-٩٨-٩٩.

سوء الذِّكر إلى هذا الوقت"[١]، ويظهر أنَّ (حتَّى) عنده بمعنى (إلى) على سبيل "انتهاء الغاية"[٢].

أمَّا ابن عطيَّة ففرَّق بين مجيء (حتَّى) حرف ابتداء وبين أن تكون غايةً مسبوقةً بمحذوف، فاعترضه أبو حيَّان ووسم رأيه بأنَّه مبنيٌّ على التَّوهم، مِنْ حيث إنَّ (حتَّى) إذا وقعت ابتدائيَّة لا تكون غاية[٣]. فيقول: "والَّذي يظهر لي أنَّ قبلها جملةً محذوفةً تكون (حتَّى) غايةً لها، يدلُّ عليها ما قبلها، التَّقدير: فلا أكون كالكفَّار الَّذين تَهمزهم الشَّياطين ويحضرونهم حتَّى إذا جاء أحدَهُم الموتُ"[٤].

وأراهُ محقًّا في ذلك؛ لأنَّ (حتَّى) وإن كانت ابتدائيَّةً فذاك على سبيل اللَّفظ، بيد أنَّ معنى الغاية يلازمها حين الابتداء بها، وذلك على تقدير محذوف يستقيم به الكلام، ويتَّضح مِنْ خلاله المعنى وإنَّما حُذف؛ لدلالة الكلام عليه، وعِلْم المخاطَب به. وهنا تظهر أهمِّيَّة قضيَّة الإفصاح في إحداث الرَّبط، كما يظهر الكشف عن خَصِيْصَة مِنْ أهمِّ خصائص العربيَّة، ألا وهي الاختصار والإيجاز، مِنْ حيث الاستغناء بالمذكور عن المحذوف مبنًى وارتباطه به معنًى.

---

(١) الكشَّاف، الزَّمخشريُّ، ١٩٧/٣.

(٢) مُغني اللَّبيب، ابن هشام، ص١٧٧.

(٣) يُنْظَر: المُحرِّر الوجيز، ابن عطيَّة، ١٥٥/٤، والبحر المحيط، أبو حيَّان، ٤٣٥/١٩.

(٤) البحر المحيط، أبو حيَّان، ٤٣٥/١٩.

## المبحث الخامس:

## الرَّبط بـ(الفاء) الفصيحة

لقد فطن النُّحاة المتقدِّمونَ إلى وظيفة (الفاء) ودورها في الرَّبط، والاتِّصال، والتَّرتيب، والاتِّساق، فجاءت عبارةُ سيبويه دالَّةً على ذلك، حيث يقول: "والفاء وهي تضمُّ الشَّيءَ إلى الشَّيء، كما فعلت الواو، غير أنَّها تجعل ذلك متَّسقًا بعضه في إثر بعض"(١).

كما أنَّ الفاء إذا وقعت في أوائل الكلم فإنَّها تنشعب على ثلاث شُعَب، الأُولى: أن تأتي للعطف والإتباع، والثَّانية: أن تأتي للإتباع دون العطف، وثالثة: تكون زائدة، إلَّا أنَّ معنى الإتباع هو الَّذي تنسب إليه، وبه تختصُّ وتمتاز(٢). والإتباع يشمل الرَّبط، ولهذا فإنَّ الرَّبط شيءٌ جوهريٌّ يدخل في مفهومها. ومِنْ هنا تعدُّ الفاء الفصيحة فرعًا مِنْ فروع الفاء العاطفة.

وقد شاع نعت الفصيحة على حرف (الفاء) دون غيرها مِنْ حروف العطف، فوصف المفسِّرونَ وأصحاب كتب حروف المعاني (الفاء) الواقعة مع معطوف عليه غير ظاهر في الكلام بأنَّها فاء فصيحة، ومقصِدهم أنَّها "تُفصح أنَّ الكلام مبنيٌّ على اعتبار الحذف"(٣)، فتأتي عاطفة ما بعدها على محذوفٍ مقدَّرٍ.

نحو قول الله ـ تعالى ـ : ﴿قَالَ بَلْ أَلْقُوا۟ ۖ فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ﴾(٤) وقد اختلف أبو البقاء العُكْبَريّ مع أبي حيَّان في نوع (الفاء) في قوله:

---

(١) الكتاب، سيبويه، ٢١٧/٤.

(٢) يُنْظَر: سِرُّ صناعة الإعراب، ابن جِنِّي، ٢٦٢/١، وشرح المُفَصَّل، ابن يعيش، ١٧٢/٨.

(٣) رُوح البيان، إسماعيل حقّي، ٣٠/٣.

(٤) سورة طه: ٦٦/٢٠.

(فإذا حبالهم) فذهب الأوَّل إلى أنَّها فاء الجواب، أمَّا الثَّاني فيرى أنَّها عاطفة[١]. وعلى أيَّة حال فهي فاء فصيحة، وإن تباينتِ استعمالاتُها؛ لأنَّها "تدلُّ على محذوف قبلها، فإن كان شرطًا فالفاء فاء الجواب، وإن كان مفردًا فالفاء عاطفةٌ، ويشملها اسم فاء الفصيحة، وهذه طريقة الجمهور على الوجهينِ، فتسميتُها بالفصيحة؛ لأنَّها أفصحت عن محذوف"[٢]، وهو: (فألقوا)، والتَّقدير: (قال بل ألْقُوا، فَألْقَوا، فإذا حبالهم...) فرُبطَ بها بين ذاك المحذوف وجملة المفاجأة.

وقد أشار الزَّمخشريُّ إلى معنًى لطيفٍ في هذه الفاء الفصيحة، وهو معنى المفاجأة، على اعتبار استعمالها الدَّلاليّ وفق السِّياق الَّذي وردت فيه، وقد سمَّاها الخفاجيُّ: الفاء الفجائيَّة؛ بناءً على هذا المعنى. وذلك في نحو قوله ـ تعالى ـ: ﴿قَالُواْ سُبْحَٰنَكَ مَا كَانَ يَنۢبَغِي لَنَآ أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَآءَ وَلَٰكِن مَّتَّعْتَهُمْ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ نَسُواْ ٱلذِّكْرَ وَكَانُواْ قَوْمًۢا بُورًا ﴿١٨﴾ فَقَدْ كَذَّبُوكُم بِمَا تَقُولُونَ﴾[٣] فجاءت "هذه المفاجأة بالاحتجاج والإلزام حسنة رائعة، وخاصَّة إذا انضمَّ إليها الالتفات، وحذف القول"[٤]. والتَّقدير: "فقلنا إن قلتم إنَّهم أضلُّونا إذ عبدناهم، فقد كذَّبوكم"[٥]. فاجتمع إلى عنصر المفاجأة الالتفات مِنَ الغَيبة في آية (١٨) إلى الخطاب في آية (١٩)، فضلًا عن حذف فعل القول.

---

(١) يُنْظَر: التِّبيان، العُكْبَريُّ، ٨٩٦/٢، والبحر المحيط، أبو حيَّان، ٥٧٠/١٨.

(٢) التَّحرير والتَّنوير، الطَّاهر بن عاشور، ٥١٩/١.

(٣) سورة الفرقان: ١٨/٢٥-١٩.

(٤) الكشَّاف، الزَّمخشريُّ، ٢٦٣/٣، ويُنْظَر: البحر المحيط، أبو حيَّان، ٣٧/٢٠.

(٥) حاشية الشِّهاب على تفسير البيضاويّ، الشِّهاب الخفاجيُّ، ١١٤/٧.

وجعلوا منه أيضًا قول العبَّاس بن الأحنف[١]: [بسيط]

قَالُوا: خُرَاسَانُ أَقْصَى مَا يُرَادُ بِنَا ثُـمَّ القُفُـولُ فَقَـدْ جِئْنَـا خُرَاسَـانَا

وموضع الشَّاهد: (فَقَدْ جِئْنَا)، إذ التَّقدير: "إن صحَّ ما قلتم مِنْ أنَّ أقصى ما يُراد بنا فقد جئنا خُراسَانَا"[٢]. وعلى هذا فقد يتباين المحذوف (المربوط المقدَّر)، فتارةً يكون شرطًا، وحينئذٍ تربط الفاء الفصيحة بين الشَّرط المقدَّر وجوابه، "ومَنْ زعم أنَّ الفاء على تقدير الشَّرط ليست بفصيحة إنَّما هي جزائيَّة فقد وَهِم؛ لأنَّ كونها جزائيَّة لا يُنافي كونها فصيحة، كما لا يُنافي كونها للتَّعقيب والتَّسبيب"[٣].

إذن، للفاء الفصيحة استعمالات لغويَّة متعدِّدة، يقول جلال الدِّين الدَّوَانيّ: "ثُمَّ إنَّه قد تلخَّص مِمَّا تلوناك أنَّها مِنْ قبيل العاطفة في بعض المواضع، ومِنَ السَّببيَّة في بعض، ومِنْ قبيل التَّعليليَّة في آخر، فليكن ذلك على ذُكْرٍ منك"[٤].

وتارةً أخرى يكون المحذوف نهيًا، ومِنْ أمثلته قوله ـ عزَّ وجلَّ ـ: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ عَلَىٰ فَتۡرَةٖ مِّنَ ٱلرُّسُلِ أَن تَقُولُواْ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٖ وَلَا نَذِيرٖۖ فَقَدۡ جَآءَكُم بَشِيرٞ وَنَذِيرٞۗ﴾[٥] وذلك في سياق الرَّدِّ على مَنْ زعم مِنَ اليهود

---

(١) البيت للعبَّاس بن الأحنف في: ديوانه، ص٢٧٩، ودلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجانيّ، ص٩٠، ورُوح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسَّبع المثاني، الألوسيُّ، ٤٤١/٩، وبِلَا نِسْبَة في: الكشَّاف، الزَّمخشريُّ، ٢٦١/٣-٤٧٢، والبحر المحيط، أبو حيَّان، ٣٧/٢٠، و٨٢/٢١، والدُّرُّ المصون، السَّمين الحلبيّ، ٥٥/٩، وإرشاد العقل السَّليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السُّعود، ٦٦/٧، وحاشية الشِّهاب الخفاجيّ على تفسير البيضاويّ، الشِّهاب الخفاجيّ، ٤٤٨/٣.

(٢) الكشَّاف، الزَّمخشريُّ، ٤٧٢/٣، ويُنْظَر: البحر المحيط، أبو حيَّان، ٨٢/٢١.

(٣) الفاء الفصيحة، جلال الدِّين الدَّوَانيّ، ص٤.

(٤) الفاء الفصيحة، جلال الدِّين الدَّوَانيّ، ص٥.

(٥) سورة المائدة: ١٩/٥.

أنَّ الله لم يُنزِّل كتابًا ولم يُرسل نبيًّا بعد موسى، فنهاهم عن هذا، وقال لهم: لا تعتذروا، فقد جاءكم بشير. فجملة (لا تعتذروا) جاءت على معنى النَّهي، وهي المربوط المحذوف المقدَّر، وعلى هذا نصَّ أبو حيَّان بقوله: "وفي الكلام حذفٌ، أي: لا تعتذروا، فقد جاءكم بشيرٌ ونذيرٌ"(١).

ويُعدُّ الحذف صورةً مِنْ صور الإيجاز، فالحذف إذنْ استغناءٌ عن شيءٍ بآخر، يقول سيبويه: "اعلم أنَّهم مِمَّا يحذفون الكلم، وإن كان أصلُه في الكلام غير ذلك، ويحذفون، ويُعوِّضون، ويَستغنون بالشَّيء عن الشَّيء الَّذي أصله في كلامهم أن يُستعمل حتَّى يصير ساقطًا"(٢).

يقول الله ـ تعالى ـ: ﴿وَكَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَمَا بَلَغُواْ مِعۡشَارَ مَآ ءَاتَيۡنَٰهُمۡ فَكَذَّبُواْ رُسُلِي فَكَيۡفَ كَانَ نَكِيرِ﴾(٣) ونلحظ هنا أنَّه استغنى بالاستفهام الإنكاريِّ عن المحذوف المقدَّر، ومسوِّغ الحذف الاستغناء بجملة عن أخرى؛ "لأنَّ فاء (فكيف) الفصيحة تنبئ عنه"(٤)، حيث عبَّر عن العِقاب بصيغة السُّؤال الإنكاريّ (فكيف كان نكير)؛ تخويفًا وتهويلًا. والتَّقدير: "فحين كذَّبوا رسلي جاءهم إنكاري بالتَّدمير، فكيف كان نكيري لهم، فليحذر هؤلاء مِنْ مِثْله"(٥).

والعربيَّة لغة الاختصار والإيجاز، فهي تعمد إلى "صياغة أكبر قَدْر مِنَ المعلومات، بإنفاق أقلّ قَدْر مِنَ الوسائل"(٦). وواضح مِمَّا سبق اعتمادها على

---

(١) البحر المحيط، أبو حيَّان، ٤٥٧/١٠، ويُنْظَر: حاشية الشِّهاب على تفسير البيضاويّ، الشِّهاب الخفاجيّ، ٤٤٨/٣.
(٢) الكتاب، سيبويه، ٢٤/١-٢٥.
(٣) سورة سبأ: ٤٥/٣٤.
(٤) حاشية الشِّهاب على تفسير البيضاويّ، الشِّهاب الخفاجيُّ، ٥٥٨/٧.
(٥) حاشية الشِّهاب على تفسير البيضاويّ، الشِّهاب الخفاجيُّ، ٥٥٨/٧.
(٦) النَّصُّ والخِطاب والإجراء، روبرت دي بو جراند، ص٢٩٩.

الاقتصاد في اللَّفظ، والتَّكثيف في المعنى، فنجد في النَّصِّ القرآنيِّ أنَّ الفاء الفصيحة تفصح وتنبئ عن الجملة، والجملتين، والثَّلاثة.

يقول الله ـ تعالى ـ : ﴿قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ وَلَا تَسْقِى ٱلْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيهَا ۚ قَالُوا۟ ٱلْـَٰٔنَ جِئْتَ بِٱلْحَقِّ ۚ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا۟ يَفْعَلُونَ﴾[1] الفاء في كلمة (فَذَبَحُوها) فصيحة، وقد قامت بوظيفة الرَّبط، وعطفت على جملتينِ محذوفتينِ، يقول أبو حيَّان: "قبل هذه الجملة محذوف، التَّقدير: فطلبوها وحصَّلوها، أي هذه البقرة الجامعة للأوصاف السَّابقة"[2]، فَذَبَحُوها.

ومِنْ هنا يعدُّ الرَّبط بالحروف الفصيحة مظهرًا مِنْ مظاهر الاختصار والإيجاز، في حين "ورد بأنَّ الاختصار لظهور المراد لا لإنباء الفاء عنه، ولذا قيل فيه اختصار، ولم يقل يتعلَّق بمحذوف؛ إشارة إلى أنَّه ليس مِنْ قبيل الفاء الفصيحة؛ لأنَّ شرطها أن يكون المحذوف سببًا للمذكور، والتَّحصيل ليس سببًا للذَّبح بل الأمر به، وليس بشيء؛ لأنَّه متوقِّف عليه، ومِثْله يعدُّ مِنَ الأسباب، ولا ينافيه كون الأمر سببًا آخر، وهو ظاهر"[3].

وإنَّ العثور على البقرة المنعوتة بالنُّعوت المطلوبة هو أهمُّ الأسباب، ومِنْ ثَمَّ يأتي الذَّبح نتيجة مترتِّبة على الحصول عليها، "ولهذا المعنى وقع ما قبلها علَّةً وسببًا لِمَا بعدها، نحو قولك: أعطيتُه فَشَكَر، وضربتُه فَبَكَى"[4] وعلى شاكلتها أقول: وَجَدَ البقرةَ فَذَبَحها.

---

(١) سورة البقرة: ٢/٧١.

(٢) البحر المحيط، أبو حيَّان، ٢/٥٠٧.

(٣) حاشية الشِّهاب على تفسير البيضاويّ، الشِّهاب الخفاجيّ، ٢/٢٩٢.

(٤) شَرْح المُفَصَّل، ابن يعيش، ٨/١٧٢.

ومِنْ هنا فإنَّ "المسبَّب يقع ثانيَ السَّببِ، وبَعْدَهُ متَّصلًا به"(١)، وفي هذا إشارةٌ إلى التَّرابط والاتِّصال بين السَّبب ونتيجته، فذُكرتِ النَّتيجة في الآية وهي: (فَذَبَحُوها)، وحُذف السَّبب فقُدِّر مِنَ السِّياق، ومِنْ ثَمَّ اتَّضح دور الرَّابط الفصيح في القيام بوظيفته في تماسك الكلام مِنْ خلال إفصاحه عن المربوط المحذوف.

ومِنْ صور حذف الجُمَل المربوطة حيث يُذكر الرَّابط والمربوط الثَّاني، ويُحذف الأوَّل؛ اختصارًا وإيجازًا، قول الله ـ تعالى ـ : ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٨﴾ فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّي فِي ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ﴾(٢) فثمَّ ثلاث جُمَل محذوفة أفصحت عنها (الفاء) في قوله: (فنادتْهُ) وتقديرها: "فقَبِل اللهُ دُعاءَهُ، ووَهَبَ له يحيى، وبَعثَ إليه الملائكة بذلك، فنادتْهُ"(٣).

ونمضي مع آيةٍ أخرى، يقول الله ـ تعالى ـ : ﴿فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾ فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِي عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ﴾(٤) فنلحظ أنَّ هذه الآية على غرار المثال السَّابق، و"في هذا الكلام اختصارٌ يدلُّ عليه هذا الظَّاهر"(٥). يقول أبو حيَّان: "في الكلام حذفٌ، والتَّقدير: فذَهَبَتَا إلى أبيهما مِنْ غير إبطاءٍ في السَّقِي، وقَصَّتَا عليه أمْر الَّذي سَقَى لهما، فأمر إحداهما أنْ تدعُوهُ فجاءتْهُ.

---

(١) شَرْح المُفَصَّل، ابن يعيش، ١٧٢/٨.
(٢) سورة آل عمران: ٣٨/٣-٣٩.
(٣) البحر المحيط، أبو حيَّان، ٢٥٧/٧.
(٤) سورة القَصَص: ٢٤/٢٨-٢٥.
(٥) الجامع لأحكام القرآن، القُرطبيُّ، ٢٧٠/١٣.
(٦) البحر المحيط، أبو حيَّان، ٥٠٠/٢٠.

ومجيء الفاء الفصيحة في قوله: (فجاءتْهُ) بين المعاطيف، فأنبأت عن المعطوف عليه المربوط المقدَّر، ويتمثَّل في ثلاث جُمَل، فجاء الرَّبط والتَّقدير هنا؛ لتدبُّر المعنى المراد مِنَ القصَّة، ولصحَّة التَّراكيب داخل عناصر الجُمَل لا الجملة الواحدة.

وثمَّة نمطٌ تركيبيٌّ يقوم على وجود همزة الاستفهام، فالفاء الفصيحة، ثُمَّ المعطوف، ومنه قوله ـ جلَّ وعلا ـ: ﴿أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكْرَ صَفْحًا أَن كُنتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ﴾[١] يقول الزَّمخشريُّ: "والفاء للعطف على محذوف، تقديره: أَنُهْمِلُكُم فَنَضْرِبَ عنكم الذِّكْر"[٢] وذلك على تقدير معطوف عليه محذوف أفصحت عنه الفاء، بينما يرى أبو حيَّان أنَّ ثمَّة تقديمًا وتأخيرًا، فأصل التَّركيب تقديم حرف العطف، أي: (فأنَضْرِب)، ولكن لَمَّا كان لحرف الاستفهام الصَّدارة في الكلام اقتضى ذلك تقديمها، وذاك مذهب سيبويه والجمهور[٣].

ومِنْ مُثُل ذلك أيضًا قوله ـ تعالى ـ: ﴿أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِى ٱلنَّارِ﴾[٤] يذهب الزَّمخشريُّ إلى أنَّ الفاء فصيحة، وهي على هذا مستقرَّة في مكانها، وكذا الهمزة، وبينهما مقدَّرٌ محذوفٌ، أي: (أأنتَ مالك أمرهم، فَمَنْ حَقَّ عليه كلمة العذاب)[٥]. أمَّا أبو حيَّان فيذهب مذهبًا مختلفًا عن الزَّمخشريِّ، حيث يُقدِّر في مِثْل هذا التَّركيب خبرًا محذوفًا.

---

(١) سورة الزُّخرُف: ٥/٤٣.

(٢) الكشَّاف، الزَّمخشريُّ، ٢٣٠/٤.

(٣) يُنْظَر: البحر المحيط، أبو حيَّان، ١٠٢/٢٢.

(٤) سورة الزُّمَر: ١٩/٣٩.

(٥) يُنْظَر: الكشَّاف، الزَّمخشريُّ، ١١٧/٤.

وخلاصة القول: إنَّ النَّماذج على مسألة الفاء الفصيحة في القرآن الكريم مِنَ الكثرة بمكان؛ لكثرة دوران قضيَّة الإفصاح مع الفاء، لذا أجتزئُ بما سلف ذكرُه، وقد ظهر مِنْ خلاله تعدُّد أنماط المربوط (المقدَّر المحذوف) فقد يكون شرطًا، أو نهيًا، وقد يكون جملةً، أو جملتين، أو ثلاث جُمَل.

## المبحث السَّادس:

## الرَّبط بـ(الواو) الفصيحة

مِنَ المعلوم ارتباط الواو الفصيحة بقضيَّة الحذف، والحذف لعِلْم المخاطَب؛ لأنَّه لا حذفَ إلَّا بدليل. وفكرة الإفصاح في الواو شائعة، "وهو كثير مِمَّا يحذف فيه الجواب، وعطف بالواو على المحذوف"(١). ويظهر أنَّها تأتي في المرتبة الثَّانية بعد الفاء، مِنْ حيث شُهرتها.

ومِنِ استعمالاتها قوله ـ عزَّ وجلَّ ـ : ﴿مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ﴾(٢) ويأتي التَّساؤل لدى الزَّمخشريّ: "علامَ عُطف (ويُسْقى)؟ قلتُ: على محذوفٍ، تقديره: يُلْقَى فيها ويُسْقَى"(٣)، وهذا التَّقدير ذكره أيضًا أبو حيَّان(٤). وقيل: هي "عطف على متعلَّق مِنْ ورائه المقدَّر، والأكثر على أنَّه عطف على مقدَّر، جوابًا عن سؤالِ سائلٍ، كأنَّه قيل: فماذا يكون إذَنْ؟ فقيل: يُلْقى فيها ما يُلْقى، ويُسْقى مِنْ ماءٍ مخصوص"(٥).

وإنَّ مجيء الواو مع المحذوف المقدَّر جديرٌ بتأمُّله، لا سيَّما إذا وقعت في سياقٍ يقتضي التَّرتيب، وهي لا تقتضي هذا المعنى في أصل وضعها، يقول سيبويه: "وليس في هذا دليلٌ على أنَّه بَدَأَ بشيءٍ قبل شيء، ولا بشيءٍ مع شيء؛ لأنَّه يجوز أن تقول: مَررتُ بزيدٍ وعَمرٍو، والمبدوءُ به في المرور عَمرٌو، ويجوز أن يكون المرور وقع عليهما في حالة واحدة"(٦).

---

(١) نتائج الفِكر في النَّحو، السُّهيليُّ، ص٢٠٦.

(٢) سورة إبراهيم: ١٦/١٤.

(٣) الكشَّاف، الزَّمخشريُّ، ٥٢٥/٢.

(٤) يُنْظَر: البحر المحيط، أبو حيَّان، ٤٨٦/١٦.

(٥) رُوح المعاني، الألوسيُّ، ١٩١/٧.

(٦) الكتاب، سيبويه، ٤٣٨/١.

ومِنْ هنا فقد تأتي الواو لجمع ما عطفت مع غيره؛ إذ إنَّ "دلالتها على الجمع أعمُّ مِنْ دلالتها على العطف"[١] شريطة إضمار الفاء المرتِّبة، وذلك حسب الأحوال الدَّاعية إليه، والمسوِّغة لمجيئه. نحو قوله ـ تعالى ـ : ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًاۖ وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[٢].

وفي معرِض تحليل أبي حيَّان لهذه الآية ذَكَرَ نصًّا للزَّمخشريِّ، وهو قوله: "فإن قلتَ: أليس هذا موضع الفاء دون الواو، كقولك: أعطيتُه فَشَكَر، ومَنعْتُه فَصَبَر؟ قلتُ: بَلَى، ولكنَّ عطفَه بالواو إشعار بأنَّ ما قالاه بعض ما أحدث فيهما إيتاء العِلْم، وشيء مِنْ مواجبه، فأضمر ذلك، ثُمَّ عطف عليه التَّحميد، كأنَّه قال: ولقد آتيناهما عِلْمًا فَعَمِلَا به وعَلَّمَاه وعرفَا حقَّ النِّعمة فيه والفضيلة، وقالا: الحمد لله"[٣]. فجاء المقدَّر على ثلاث جُمَل، بواسطة الواو في (وقالا) "وتسمَّى هذه الواو: الواو الفصيحة"[٤].

ومقتضى ظاهر الآية أنَّ الأَوْلى العطف بالفاء، حيث التَّرتيب؛ لترتُّب مجيء الحمد على الإيتاء، لكنَّه عَدَلَ عن الفاء إلى الواو، في حين يقول ابن يعيش: "ولا نعلمُ أحدًا يُوثَقُ بعربيَّته يذهب إلى أنَّ الواو تفيد التَّرتيب"[٥]، ونُكتة ذلك أنَّه لو عَطَفَ بالفاء لكان المعنى مقصورًا على عطف حمدهما على إيتائهم فحَسْب؛ لكون معنى التَّرتيب في الفاء ظاهرًا ومباشرًا، فلمَّا أراد الإشارة إلى أشياءَ متعدِّدة؛ بناءً على إيتائهما العِلْم، جيء بالواو[٦]؛ "لأنَّها تستدعي معطوفًا عليه مضمرًا، فيُقدَّر بحسب ما

---

(١) شَرْح المُفَصَّل، ابن يعيش، ٨/١٦٤.

(٢) سورة النَّمل: ٢٧/١٥.

(٣) الكشَّاف، الزَّمخشريُّ، ٣/٣٤١، ويُنْظَر: البحر المحيط، أبو حيَّان، ٢٠/٣١٧.

(٤) حاشية الشِّهاب على تفسير البيضاويّ، الشِّهاب الخفاجيُّ، ٧/٢٢٩.

(٥) شَرْح المُفَصَّل، ابن يعيش، ٨/١٦٥.

(٦) يُنْظَر: حاشية الشِّهاب على تفسير البيضاويّ، الشِّهاب الخفاجيُّ، ٧/٢٢٩.

يقتضيه موجب الشُّكر مِنْ قوله: (فَعَمِلَا به وعَلَّمَاه)؛ لأنَّهما مِنَ الشُّكر بالجوارح، (وعَرَفَا حَقَّ النِّعمة فيه والفضيلة) فإنَّه مِنَ الشُّكر بالقلب، (وقالَا الحمدُ لله) فإنَّه مِنَ الشُّكر اللِّسانيِّ، فيستوعب جميع أنواع الشُّكر"[١].

وهكذا لَمَّا لم يكن التَّرتيب مِنْ وظائف الواو جيء بالفاء؛ لتقوم بوظيفة التَّرتيب، ثُمَّ جاءتِ الواو؛ لتقوم بوظيفتها في الإفصاح ومِنْ ثَمَّ الجمع بين تلك الجُمَل المقدَّرة، وبين جملة حمدهما الله ـ تعالى ـ المذكورة.

وفي موطن آخر يقول الله ـ تعالى ـ : ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ وَلَقَدۡ وَصَّيۡنَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَإِيَّاكُمۡ أَنِ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ﴾[٢] ولَمَّا كان لله مُلْك كلّ شيء، وتلك صفة له ـ سبحانه وتعالى ـ ، وهي مقتضية أمره لعباده بالتَّقوى، ونهيهم عن الكفر، بل إنَّ تلك الصِّفة تقتضي أكثر مِنْ مجرَّد الأمر والنَّهي، وقد عبَّر بقوله: (ولقد وصَّينا)، فالواو في ظاهر النَّصِّ موحية بمعنى التَّرتيب؛ إذ إنَّ المعنى يقتضيه[٣]، بيد أنَّ الأمر غير ذلك، فليس في الواو "دليل على أيّهما كان أوَّلًا"[٤]. فما هو مسوِّغ العطف بالواو هنا على الرَّغم مِنْ عدم إفادة التَّرتيب؟ الجواب: الواو هنا فصيحة لا مرتِّبة، "فوجب تقدير معطوف عليه مرتَّب على الوصف بالفاء؛ ليعطف (ولقد وصَّيْنا) عليه، فيتمُّ به الغرض"[٥].

---

(١) فتوح الغيب في الكشف عن قِناع الرَّيب (حاشية الطِّيْبِيّ على الكشَّاف)، الطِّيْبيّ، ١١/٤٧٥.

(٢) سورة النِّساء: ٤/١٣١.

(٣) يُنْظَر: فتوح الغيب في الكشف عن قِناع الرَّيب (حاشية الطِّيْبِيّ على الكشَّاف)، الطِّيْبيّ، ٥/١٨٤.

(٤) المقْتَضَب، المبرّد، ١/١٠.

(٥) فتوح الغيب في الكشف عن قِناع الرَّيب (حاشية الطِّيْبِيّ على الكشَّاف)، الطِّيْبيّ، ٥/١٨٤.

وهكذا نجد أنَّ أبا حيَّان يرى أنَّ في قوله ـ تعالى ـ : ﴿وَقَالَ ٱلۡمَلِكُ ٱئۡتُونِي بِهِۦٓ أَسۡتَخۡلِصۡهُ لِنَفۡسِيۖ﴾[1] حذفًا "التَّقدير: فَسَمِعَ المـلِكُ كلامَ النِّسوة وبراءة يوسف مِمَّا رمي به، فأراد رؤيته، وقال: ائتوني به، فأتاه"[2].

ولقد وردت جملة: (وقال المـلِك ائتوني به) مرَّتينِ، إحداهما: في آية (٥٠) بلفظ (ائتوني به) فقط؛ لاستدعاء يوسف ـ عليه السَّلام ـ بسبب عِلْم الرُّؤيا، أمَّا في المرَّة الثَّانية فقد جاء اللَّفظ ذاتُه مصحوبًا بقوله: (أستخلصه لنفسي)[3]، وتلك قرينةٌ لفظيَّةٌ، "وهي عنصر مِنْ عناصر الكلام... ومَثَلُ هذه القرائن كمَثَلِ معالم الطَّريق الَّتي يهتدي بها المرءُ إلى المكان الَّذي يقصِدُه"[4]، ففيها الإشارة إلى أمور مستحبَّة، عَلِمَها المـلِك عن يوسف، وعن صدقه، وأمانته، دفعتْهُ إلى ذاك القول، فترتَّب على هذا العطفُ بفاء مقدَّرة، تَحمل دلالة ترتيب الأحداث، حيث سماع المـلِك اعترافات النِّسوة، فبراءة يوسف، ثُمَّ رغبته في رؤيته. ومِنْ هنا عطف بالواو: وقال المـلِك ائتوني به أتَّخذه خالصًا لي. فجاءت الواو الفصيحة الجامعة الرَّابطة بين المقدَّر والمذكور.

وقد تَعطف الواو الفصيحة على جملة واحدة، فتربطها بجملة المعطوف المذكورة، ومنه قوله ـ عزَّ وجلَّ ـ: ﴿وَأَنجَيۡنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجۡمَعِينَ﴾[5] حيث ارتباط النَّتيجة، وهي: (النَّجاةُ مِنَ الغرق)، بحصول السَّبب، وهو: (الدُّخول في البحر)،

---

(١) سورة يُوسُف: ١٢/٥٤.

(٢) البحر المحيط، أبو حيَّان، ١٦/١٥٦.

(٣) يُنْظَر: البحر المحيط، أبو حيَّان، ١٦/١٥٥.

(٤) البيان في روائع القرآن، تَمَّام حسَّان، ١/١٠.

(٥) سورة الشُّعراء: ٢٦/٦٥.

بواسطة الواو الفصيحة، وعلى هذا يكون التَّقدير: "ودخل موسى وبنو إسرائيل البحر، وأنجينا"(١).

وخاتمة القول: تعدُّ حروف العطف الفصيحة مِنَ الحروف الرَّابطة المهمَّة في نظام العربيَّة، وذلك على المستويينِ: التَّركيبيِّ، والدَّلاليِّ، أو بعبارة أخرى: على مستويي: المبنى، والمعنى؛ لأنَّها تقوم بالسَّبْك والحَبْك معًا، فتسهم في تَمام الأركان، ومِنْ ثَمَّ يتمُّ بها البيان.

ويتجلَّى مِمَّا سبق أظهر خصائص الرَّبط بالحروف الفصيحة، ومنها الاستغناء عن المعطوف عليه، فيكون التَّركيب "مِمَّا أُستغني بدلالة الظَّاهر على المتروك منه"(٢). حيث يُحذف المعطوف عليه؛ اكتفاء بذكر الرَّابط اللَّفظيّ والمعطوف؛ للاختصار والإيجاز، يقول الفرَّاء: "فاكتفى بالجواب؛ لأنَّه قد أدَّى عن المعنى"(٣). كما يظهر تعدُّد أنماط ذلك المحذوف وتباين صوره، وحذفُه دليل سَعَة في اللُّغة.

وتلك هي النَّماذج الَّتي التقطها قلمي هنا في قضيَّة الرَّبط بالحرف الفصيح، ودوره في عمليَّة التَّقدير. وهي لا شكَّ محاولات لاستنباط صور ذلك التَّركيب اللُّغويّ في النَّصِّ القُرآنيِّ، واستجلاء بعض خصائص اللُّغة العربيَّة.

---

(١) البحر المحيط، أبو حيَّان، ١٩٣/٢٠.

(٢) جامع البيان في تأويل القرآن، الطَّبريُّ، ١١٩/٢.

(٣) معاني القرآن، الفرَّاء، ٤٠/١.

# الخاتمـــة

١- الَّذي شاعت معه فكرة الإفصاح مِنْ حروف العطف، وتقرَّر في كتب بعض المتقدِّمينَ، حرفانِ هما: (الفاء)، و(الواو)، وصرَّح آخرون بندرة ذلك مع (أو) و(حتَّى)، في حين كشف البحث أنَّ فكرة الإفصاح ظاهرة مع (أم، وبل، وثُمَّ، وحتَّى، والفاء، والواو).

٢- اختلاف نظر النُّحاة إلى أصل تركيب (أمْ مَنْ هو) في عدد مِنَ الآيات ترتَّب عليه الاختلاف في اعتبار الرَّابط وأثره.

٣- لعلَّ مجيء أمِ المتَّصلة الرَّابطة بين عنصرينِ هو الأصل في استعمالها اللُّغويّ، فجاءت هذه الفكرة، حَمْلًا على الأصل، أمَّا إحلال غيرها محلّها، كـ(بَلْ)، و(الهمزة)، أو حَمْلها على معنى غيرها، بسبيل تناوب الأدوات، فقد يكون مِنْ باب التَّطوُّر اللُّغويّ في استعمال الأداة (أمْ).

٤- (بَلِ) الفصيحة تعني الإضراب عن جملة محذوفة، ومِنْ ثَمَّ تقدير ذلك المحذوف الَّذي أفصحت عنه، وهو المُضْرَب عنه، وربطه بالمذكور؛ للوصول إلى فَهم أدقّ وأمثل للنَّصِّ القرآنيّ.

٥- (ثُمَّ) حرفُ ربطٍ فصيحٍ أنبأ عن مربوط مقدَّر.

٦- مِنَ العلاقات المعنويَّة الجامعة بين كلامينِ في دراسة الرَّبط بالحروف الفصيحة، علاقةُ الاستدعاء أو التَّلازم، ويظهر هذا المعنى الجامع في موضعينِ:

- (حتَّى) وإن كانت ابتدائيَّةً، فذاك على سبيل اللَّفظ، بيد أنَّ معنى الغاية يلازمها، وذلك على تقدير محذوف يتحقَّق به استقامة الكلام ووضوح المعنى، فالجملة اللَّاحقة الواقعة بعد (حتَّى) تستدعي الجملة السَّابقة بالتَّقدير؛ لتكون لها غاية.
- اختصاص الواو عند النَّحويِّينَ بمطلق الجمع نتج عنه الإيذان باستدعاء الفاء؛ لتقوم بوظيفة التَّرتيب في سياقٍ يقتضيه؛ لأنَّ الواو الفصيحة لا تقتضي هذا

المعنى في أصل وضعها اللُّغويّ، فأفصحت عن تلك الفاء المقدَّرة وما حُذف معها، ونكتة اجتماع الواو الفصيحة مع الفاء المرتَّبة في تركيبٍ واحد، أنَّ السِّياق بحاجة إلى المعنيينِ كليهما: (الجمع، والتَّرتيب).

٧- تختصُّ الهمزة عن غيرها مِنْ أدوات الاستفهام بدخولها على بعض حروف العطف، وذاك استعمالٌ شائعٌ في النَّصِّ القرآنيِّ، ومِنَ السِّمات التَّركيبيَّة لهذا النَّمط اللُّغويِّ أن تأتيَ همزة الاستفهام، يليها حرف العطف فالمعطوف عليه. وتلك صورةٌ مِنْ صور التَّركيب العربيِّ قد جاء الكلام عليها في ضوء اقتضاء رأي الزَّمخشريِّ جواز القول بإفصاح (ثُمَّ)، وأثرها في رَبْط المذكور بعدها بالمعطوف عليه المحذوف الواقع بين همزة الاستفهام والأداة (ثُمَّ)، أمَّا أبو حيَّان فيذهب إلى تقدير الخبر.

٨- للفاء الفصيحة استعمالات لغويَّة متعدِّدة، منها: مجيؤها عاطفة، وسببيَّة، وفجائيَّة، وجوابيَّة، وهذه الاستعمالات لا تتنافى مع كونها فصيحة. وعليه يمكن تعميم القول بإفصاح (الفاء) الَّتي تأتي رابطة للشَّرط المقدَّر بالجواب المذكور.

٩- مِنْ مظاهر الإيجاز في العربيَّة وظواهر الاختصار فيها الحروف الفصيحة، الَّتي تنبئ عمَّا لم يُذكر في الكلام، وتومئ إليه دون تصريح بلفظه، فنجد في النَّصِّ القرآنيِّ أنَّ الفاء الفصيحة تفصح عن الجملة، والجملتينِ، والثَّلاث.

## المصادر والمراجع

١-ارتشاف الضَّرب مِنْ لسان العرب: أبو حيَّان الأندلسيّ، المتوفَّى سنة ٧٤٥هـ، تحقيق وشرح ودراسة: الدُّكتور/ رجب عثمان محمَّد، مراجعة الدُّكتور رمضان عبدالتَّوَّاب، طبعة مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط١، ١٤١٨هـ-١٩٩٨م.

٢-إرشاد العقل السَّليم إلى مزايا الكتاب الكريم: أبو السُّعود محمَّد بن محمَّد بن مصطفى، المتوفَّى سنة ٩٨٢هـ، طبعة دار إحياء التُّراث العربيّ ببيروت.

٣-أسرار العربيَّة: أبو البركات الأنباريّ، المتوفَّى سنة ٥٧٧هـ، عُني بتحقيقه: محمَّد بهجة البيطار، طبعة المجمع العِلْميّ العربيّ بدمشق، ١٣٧٧هـ-١٩٥٧م.

٤-الأشباه والنَّظائر في النَّحو: أبو الفضل جلال الدِّين السُّيوطيُّ، المتوفَّى سنة ٩١١هـ، وضع حواشيه: غريد الشَّيخ، طبعة دار الكتب العِلْميَّة ببيروت، ط٣، ٢٠١١م.

٥-الأصول في النَّحو: أبو بكر محمَّد بن سهل بن السَّرَّاج، المتوفَّى سنة ٣١٦هـ، تحقيق: الدُّكتور/ عبدالحسين الفتليّ، طبعة مؤسَّسة الرِّسالة، ط٤، ١٤٣٦هـ-٢٠١٥م.

٦-إعراب القراءات الشَّواذّ: أبو البقاء العُكْبَريّ، المتوفَّى سنة ٦١٦هـ، دراسة وتحقيق: الدُّكتور/ محمَّد السَّيِّد أحمد عزُّوز، طبعة عالم الكتب ببيروت، ط١، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م.

٧-إعراب القرآن، أبو جعفر أحمد بن محمَّد النَّحَّاس، المتوفَّى سنة ٣٣٨هـ، تحقيق: الدُّكتور/ زهير غازي زاهد، طبعة عالم الكتب ببيروت، ط١، ١٤٣٤هـ-٢٠١٣م.

٨-ألفيَّة ابن مالك في النَّحو والتَّصريف، المسمَّاة: "الخلاصة في النَّحو": أبو عبدالله محمَّد جمال الدِّين بن مالك، المتوفَّى سنة ٦٧٢هـ، حقَّقها وخدمها: الدُّكتور/ سليمان بن عبدالله العيونيّ، طبعة مكتبة دار المنهاج بالرِّياض.

٩-أنظمة الرَّبط في العربيَّة، "دراسة في التَّراكيب السَّطحيَّة بين النُّحاة والنَّظريَّة التَّوليديَّة التَّحويليَّة"، الدُّكتور/ حسام البَهْنَساويّ، طبعة مكتبة زهراء الشَّرق بالقاهرة، ط١، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٣م.

١٠-البحر المحيط في تفسير القرآن العظيم: أبو حيَّان الأندلسيّ، المتوفَّى سنة ٧٤٥هـ، تحقيق: الدُّكتور/ عبدالله بن عبدالمحسن التُّركيّ، طبعة مركز هجر، ط١، ١٤٣٦هـ-٢٠١٥م.

١١-بدائع الفوائد: ابن القيِّم الجوزيَّة، المتوفَّى سنة ٧٥١هـ، طبعة دار الكتاب العربيّ ببيروت.

١٢-البلاغة والأسلوبيَّة: الدُّكتور/ محمَّد عبدالمطَّلب، طبعة مكتبة لبنان ببيروت، ط١، ١٩٩٤م.

١٣-بيان إعجاز القرآن: أبو سليمان المعروف بالخطَّابيّ، المتوفَّى سنة ٣٨٨هـ، تحقيق: محمَّد خلف الله، والدُّكتور/ محمَّد زغلول سلَّام، طبعة دار المعارف بالقاهرة، ط٣، ١٩٧٦م.

١٤-البيان في روائع القرآن: الدُّكتور/ تمَّام حسَّان، طبعة عالم الكتب بالقاهرة، ط٢، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.

١٥-التِّبيان في إعراب القرآن: أبو البقاء العُكْبَريّ، المتوفَّى سنة ٦١٦هـ، تحقيق: عليّ محمَّد البجاويّ، طبعة دار الشَّام للتُّراث ببيروت.

١٦-التَّحرير والتَّنوير: محمَّد الطَّاهر بن عاشور، المتوفَّى سنة ١٣٩٣هـ، طبعة دار سحنون بتونس.

١٧-التَّصريح بمضمون التَّوضيح: الشَّيخ/ خالد الأزهريّ، المتوفَّى سنة ٩٠٥هـ، دراسة وتحقيق: الدُّكتور/ عبدالفتَّاح بحيري، طبعة الزَّهراء للإعلام العربيّ بالقاهرة، ط١، ١٤١٣هـ-١٩٩٢م.

١٨-التَّفسير الوسيط للقرآن الكريم: محمَّد سيِّد طنطاويّ، طبعة دار نهضة مصر بالقاهرة، ط١، ١٩٩٧-١٩٩٨م.

١٩-جامع البيان في تأويل القرآن: محمَّد بن جرير الطَّبريّ، المتوفَّى سنة ٣١٠هـ، تحقيق: أحمد محمَّد شاكر، طبعة مؤسَّسة الرِّسالة، ط١، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.

٢٠-الجامع لأحكام القرآن: شمس الدِّين القرطبيّ، المتوفَّى سنة ٦٧١هـ، تحقيق: أحمد البردونيّ، وإبراهيم أطفيش، طبعة دار الكتب المصريَّة بالقاهرة، ط٢، ١٣٨٤هـ-١٩٦٤م.

٢١-الجنى الدَّاني في حروف المعاني: أبو محمَّد الحسن بن قاسم المراديّ، المتوفَّى سنة ٧٤٩هـ، تحقيق: الدُّكتور/ فخر الدِّين قباوة، ومحمَّد نديم فاضل، طبعة دار الكتب العِلْميَّة ببيروت، ط١، ١٤١٣هـ-١٩٩٢م.

٢٢-حاشية السُّيوطيِّ على تفسير البيضاويّ: أبو الفضل جلال الدِّين السُّيوطيُّ، المتوفَّى سنة ٩١١هـ، طبعة جامعة أمّ القرى بمكَّة المكرَّمة، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٥م.

٢٣-حاشية الشِّهاب على تفسير البيضاويّ، المسمَّاة: "عناية القاضي وكفاية الرَّاضي": شهاب الدِّين أحمد بن محمَّد الخفاجيّ، المتوفَّى سنة ١٠٦٩هـ، ضبطه وخرَّج آياته وأحاديثه: الشَّيخ/ عبد الرَّزَّاق المهدي، طبعة دار الكتب العِلْميَّة ببيروت، ط١، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م.

٢٤-حاشية الصَّبَّان على شرح الأشمونيّ لألفيَّة ابن مالك: محمَّد بن عليّ الصَّبَّان، المتوفَّى سنة ١٢٠٦هـ، طبعة دار الكتب العِلْميَّة ببيروت، ط١، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م.

٢٥-الحجَّة للقرَّاء السَّبعة: أبو عليّ الفارسيّ، المتوفَّى سنة ٣٧٧هـ، تحقيق: بدر الدِّين قهوجي، وبشير جويجابي، راجعه ودقَّقه: عبدالعزيز رباح، وأحمد يوسف الدقاق، طبعة دار المأمون للتُّراث بدمشق، ط٢، ١٤١٣هـ-١٩٩٣م.

٢٦-خزانة الأدب ولُبُّ لباب لسان العرب: عبدالقادر بن عمر البغداديّ، المتوفَّى سنة ١٠٩٣هـ، تحقيق وشرح: عبدالسَّلام هارون، طبعة مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط٤، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.

٢٧-الدُّرُّ المصون في علوم الكتاب المكنون: أحمد بن يوسف المعروف: "بالسَّمين الحلبيّ"، المتوفَّى سنة ٧٥٦هـ، تحقيق: الدُّكتور/ أحمد محمَّد الخرَّاط، طبعة دار القلم بدمشق، ط٣، ١٤٣٢هـ-٢٠١١م.

٢٨-دراسات لأسلوب القرآن الكريم: الشَّيخ/ محمَّد عبدالخالق عُضيمة، طبعة دار الحديث بالقاهرة.

٢٩-دلائل الإعجاز: أبو بكر عبدالقاهر الجرجانيّ، المتوفَّى سنة ٤٧١هـ، قرأه وعلَّق عليه: محمود محمَّد شاكر، طبعة شركة القدس.

٣٠-ديوان العبَّاس بن الأحنف، شرح وتحقيق: الدُّكتورة/ عاتكة الخزرجيّ، طبعة دار الكتب المصريَّة بالقاهرة، ط١، ١٣٧٣هـ-١٩٥٤م.

٣١-رصف المباني في شرح حروف المعاني، أحمد بن عبدالنُّور المالقيّ، المتوفَّى سنة ٧٠٢هـ، تحقيق: الدُّكتور/ أحمد محمَّد الخرَّاط، طبعة دار القلم بدمشق، ط٤، ١٤٣٥هـ-٢٠١٤م.

٣٢-روح البيان: إسماعيل حقِّي، المتوفَّى سنة ١١٢٧هـ، طبعة دار الفكر ببيروت.

٣٣-روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسَّبع المثاني: شهاب الدِّين الألوسيّ، المتوفَّى سنة ١٢٧٠هـ، تحقيق: عليّ عبدالباري عطيَّة، طبعة دار الكتب العِلْميَّة ببيروت، ط١، ١٤١٥هـ.

٣٤-السَّبعة في القراءات، ابن مجاهد، المتوفَّى سنة ٣٢٤هـ، تحقيق: الدُّكتور/ شوقي ضيف، طبعة دار المعارف بالقاهرة، ط٤، ٢٠١٠م.

٣٥-سرُّ صناعة الإعراب: أبو الفتح ابن جنِّي، المتوفَّى سنة ٣٩٢هـ، طبعة دار الكتب العِلْميَّة ببيروت، ط١، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.

٣٦-شرح ديوان الفرزدق، عني بجمعه وطبعه والتَّعليق عليه: عبدالله الصَّاويّ، طبعة مطبعة الصَّاويّ بمصر.

٣٧-شرح الرَّضيّ على كافية ابن الحاجب: رضيّ الدِّين الأستراباذيّ، المتوفَّى سنة ٦٨٦هـ، شرح وتحقيق: الدُّكتور/ عبدالعال سالم مكرم، طبعة عالم الكتب بالقاهرة، ط١، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.

٣٨-شرح المفصَّل: موفَّق الدِّين يعيش بن عليّ بن يعيش، المتوفَّى سنة ٦٤٣هـ، تحقيق: الدُّكتور/ إبراهيم محمَّد عبدالله، طبعة دار سعد الدِّين بدمشق، ط١، ١٤٣٤هـ-٢٠١٣م.

٣٩-الصِّحاح تاج اللُّغة وصحاح العربيَّة: أبو نصر إسماعيل بن حمَّاد الجوهريّ، المتوفَّى سنة ٣٩٣هـ، تحقيق: أحمد عبدالغفور عطَّار، طبعة دار العِلْم للملايين ببيروت، ط٤، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.

٤٠-الفاء الفصيحة: جلال الدِّين الدَّوانيّ، المتوفَّى سنة ٩٢٨هـ، تحقيق: الدُّكتور طه محسن.

٤١-فتوح الغيب في الكشف عن قناع الرَّيب، حاشية الطِّيبيّ على الكشَّاف: شرف الدِّين الحسين بن عبدالله الطِّيبيّ، المتوفَّى سنة ٧٤٣هـ، مقدِّمة التَّحقيق: إياد محمَّد الغوج، القِسْم الدِّراسيُّ: الدُّكتور/ جميل بني عطا، المشرف العامّ على الإخراج العِلْميّ للكتاب: الدُّكتور/ محمَّد عبدالرَّحيم، طبعة جائزة دبي الدَّوليَّة للقرآن الكريم، ط١، ١٤٣٤هـ-٢٠١٣م.

٤٢-القراءات القرآنيَّة في ضوء عِلْم اللُّغة الحديث: الدُّكتور/ عبدالصَّبور شاهين، طبعة مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط٣، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٧م.

٤٣-الكتاب: سيبويه، المتوفَّى سنة ١٨٠هـ، تحقيق: عبدالسَّلام هارون، طبعة مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط٤، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.

٤٤-الكشَّاف عن حقائق غوامض التَّنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التَّأويل: أبو القاسم الزَّمخشريّ، المتوفَّى سنة ٥٣٨هـ، وبحواشيه أربعة كتب، الأوَّل: الانتصاف لأحمد بن المنيِّر، الثَّاني: الكافي الشَّافي في تخريج أحاديث الكشَّاف للحافظ بن حجر، الثَّالث: حاشية محمَّد المرزوقيّ على تفسير الكشَّاف، الرَّابع: مشاهد الإنصاف على شواهد الكشَّاف لمحمَّد عليان، رتَّبه وضبطه وصحَّحه: محمَّد عبدالسَّلام شاهين، طبعة دار الكتب العِلْميَّة ببيروت، ط٥، ٢٠٠٩م.

٤٥-الكلِّيَّات، معجم في المصطلحات والفروق اللُّغويَّة: أبو البقاء الكفويّ، المتوفَّى سنة ١٠٩٤هـ، تحقيق: الدُّكتور/ عدنان درويش، ومحمَّد المصريّ، طبعة مؤسَّسة الرِّسالة بدمشق، ط٢، ١٤٣٣هـ-٢٠١٢م.

٤٦-لغة الشِّعر دراسة في الضَّرورة الشِّعريَّة: الدُّكتور/ محمَّد حماسة عبداللَّطيف، طبعة دار الشُّروق بالقاهرة، ط١، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م.

٤٧-اللُّغة العربيَّة معناها ومبناها: الدُّكتور تمَّام حسَّان، طبعة عالم الكتب بالقاهرة، ط٦، ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م.

٤٨-المحرّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ابن عطيَّة الأندلسيّ، المتوفَّى سنة ٥٤٢هـ، تحقيق: عبدالسَّلام عبدالشَّافي محمَّد، طبعة دار الكتب العِلْميَّة ببيروت، ط١، ١٤٢٢هـ.

٤٩-معاني القرآن: أبو الحسن سعيد بن مَسْعَدَة الأخفش، المتوفَّى سنة ٢١٥هـ، تحقيق: الدُّكتورة/ هدى محمود قُرَّاعة، طبعة مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط٢، ١٤٣١هـ-٢٠١٠م.

٥٠-معاني القرآن: أبو زكريَّا يحيى بن زياد الفرَّاء، المتوفَّى سنة ٢٠٧هـ، تحقيق: أحمد يوسف نجاتي، ومحمَّد عليّ النَّجَّار، طبعة دار الكتب والوثائق القوميَّة بالقاهرة، ط٣، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.

٥١-معجم المصطلحات النَّحويَّة والصَّرفيَّة: الدُّكتور/ محمَّد سمير نجيب اللّبدي، طبعة مؤسَّسة الرِّسالة ببيروت، ط١، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.

٥٢-المعجم الوسيط: مجموعة مؤلِّفين، طبعة دار الدَّعوة.

٥٣-مغني اللَّبيب عن كتب الأعاريب: ابن هشام الأنصاريّ، المتوفَّى سنة ٧٦١هـ، تحقيق الدُّكتور فخر الدِّين قباوة، طبعة دار اللُّباب بإسطنبول، ط١، ١٤٣٩هـ-٢٠١٨م.

٥٤-مفاتيح الغيب: فخر الدِّين الرَّازيّ، المتوفَّى سنة ٦٠٦هـ، طبعة دار إحياء التُّراث العربيّ ببيروت، ط٣، ١٤٢٠هـ.

٥٥-مفاهيم ومواقف في اللُّغة والقرآن: الدُّكتور/ تمَّام حسَّان، طبعة عالم الكتب بالقاهرة، ط١، ٢٠١٠م.

٥٦-المقاصد الشَّافية في شرح الخلاصة الكافية: أبو إسحاق إبراهيم بن موسى الشَّاطبيّ، المتوفَّى سنة ٧٩٠هـ، تحقيق: مجموعة مِنْ أساتذة جامعة أمّ القرى، طبعة جامعة أمّ القرى بمكَّة المكرَّمة، ط١، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م.

٥٧-المقتَضَب، أبو العبَّاس محمَّد بن يزيد المبرِّد، المتوفَّى سنة ٢٨٥هـ، تحقيق: الشَّيخ/ محمَّد عبدالخالق عضيمة، طبعة عالم الكتب ببيروت، ١٤٣١هـ-٢٠١٠م.

٥٨-مقاييس اللُّغة: أبو الحسين أحمد بن فارس، المتوفَّى سنة ٣٩٥هـ، تحقيق: عبدالسَّلام هارون، طبعة دار الفكر، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م.

٥٩-مِنْ أسرار اللُّغة: الدُّكتور/ إبراهيم أنيس، طبعة مكتبة الأنجلو المصريَّة بالقاهرة، ط٦، ١٩٧٨م.

٦٠-نتائج الفكر في النَّحو: أبو القاسم السُّهيليّ، المتوفَّى سنة ٥٨١هـ، حقَّقه وعلَّق عليه: عادل أحمد عبدالموجود وعليّ محمَّد معوَّض، طبعة دار الكتب العِلْميَّة ببيروت، ط١، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م.

٦١-النَّحو الوافي: عبَّاس حسن، طبعة دار المعارف بالقاهرة، ط٢٠، ٢٠١٧م.

٦٢-النَّشر في القراءات العشر: الحافظ ابن الجَزَريّ، المتوفَّى سنة ٨٣٣هـ، دراسة وتحقيق: الدُّكتور/ السَّالم محمَّد الشِّنقيطيّ، طبعة مجمَّع الملك فهد لطباعة المصحف الشَّريف بالمدينة المنوَّرة، ١٤٣٥هـ.

٦٣-النَّصُّ والخطاب والإجراء: روبرت دي بو جراند، ترجمة: الدُّكتور/ تمَّام حسَّان، طبعة عالم الكتب بالقاهرة، ط١، ١٤١٨هـ-١٩٩٨م.

٦٤-همع الهوامع في شرح جمع الجوامع: أبو الفضل جلال الدِّين السُّيوطيُّ، المتوفَّى سنة ٩١١هـ، شرح وتحقيق: عبدالسَّلام هارون، والدُّكتور/ عبدالعال سالم مكرم، طبعة عالم الكتب بالقاهرة، ١٤٢١هـ-٢٠٠١م.